

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقه

(مع) الرسالة الوعظيه [و] كتاب مشكاة الانوار [و] رسالة العقائد والوعظ الى ملك شاه (و) رسالة التوحيد الجميع من تأليف الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالى

﴿ ويليهم كتاب التجريد في كلمة التوحيد ﴾

﴿ تأليف ﴾

الامام احمد بن محمد الغزالى رحمهما الله تعالى

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م

﴿ على نفقة السادات ﴾

(أحمد ناجي الجمالى . ومحمد أمين الخانجى . وأخيه)

— بالاستانة ومصر —

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد اسماعيل »



الحمد لله الواحدالقهار • والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار • وعلى آله الابرار • وصحبه الاخيار ﴿ وبعد ﴾ فهذا مجموع لطيف وسفر مبارك شريف • جمعنا فيه من مؤلفات الامامين الجليلين أبي حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى وأخيه أبى العباس احمد بن محمد روح الله روحهما ونور ضريحهما مالابد لطالب الحق منه ولايستغنى سالك الطريق عنه وهى •• رسالة فيصل التفرقه بين الاسلام والزندقه شرح فيها أسباب الاسلام والكفر وبين مابه يكون المرء مسلماً وزنديقاً •• والثانية رسالة في أصول العقائد التى كتبها لاحد مريديه •• والثالثة رسالته الى ملكشاه فى اخلاق الملوك وما يلزمهم اتباعه فى سياسة الرعية وهي رسالة جامعة نافعة لمن يتدبرها ••والرابعة رسالة مشكاة الانوار في بيان منازل السالكين ومراتبهم ومهاوى المنقطعين ودركاتهم •• وهذه كلها لابي حامد والخامسة وهي لابى العباس رسالة التجريد فى تفسير كلة التوحيد وهى لاإله الا الله وفيها بيان أدواء النفس وعلاجها الشافي وما يلزم كل انسان فى معاملة الخلق والخالق فجاءت بحمد الله من أحسن ما يتشوف اليه المحبون للعلوم الشرعية والحقائق التصوفية والله نسأله أن يوفق للانتفاع بها ويجزل لنا الثواب على نشرها انه خير موفق ومعين

كتبه

محمد امين الخانجى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه أحمد الله تعالى استسلاماً لعزته ، واستتماماً لنعمته ، واستغناماً لتوفيقه ومعونته وطاعته ، واستعصاما من خذلانه ومعصيته ، واستدرارا لسوابغ نعمته ، وأصلي على محمد عبده ورسوله وخير خليقته ، انقياداً لنبوته ، واستجلابا لشفاعته ، وقضاءً لحق رسالته ، واعتصاماً بيمن سريرته ونقيبته ، وعلي آله وأصحابه وعترته ﴿ أما بعد ﴾ فانى رأيتك أيها الاخ المشفق والصديق المتعصب موغر الصدر ، منقسم الفكر ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في اسرار معاملات الدين ، وزعمهم ان فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، والمشايخ المتكلمين ، وان العدول عن مذهب الاشعرى ولو فى قيد شبر كفر ومباينته ولو فى شيءٍ نزرٍ ضلال وخسر ، فهوّن أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غربك قليلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يعرف ، فأي داع أكمل واعقل من سيد المرسلين صلى الله تعالي عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأى كلام أجلّ واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الاولين ، واياك ان تشتغل بخصامهم وتطمع فى افحامهم ، فتطمع فى غير مطمع ، وتصوت في غير مسمع ، أما سمعت ماقيل

كل العداوة قد ترجى سلامتها   الا عداوة من عاداك عن حسد

ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس ، لما تلى علي أجلهم رتبة آيات اليأس ، أو ماسمعت قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدي فلا تكونن من الجاهلين)

وقوله تعالي (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)وقوله تعالى(ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين)وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) واعلم ان حقيقة الكفر والايمان وحدهما والحق والضلال وسرهما • لاينجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما • بل انما ينكشف ذلك لقلوب طهرت عن وسخ أو ضار الدنيا أولا ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ثم نورت بالذكر الصافى ثالثاً ثم غذيت بالفكر الصائب رابعاً ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة • وصارت كأنها مرآة مجلوة • وصار مصباح الايمان فى زجاجة قلبه مشرق الانوار •يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار •وأنى تتجلى اسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم• ومعبودهم سلاطينهم • وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم • وشريعتهم رعونتهم • وارادتهم جاههم وشهواتهم • وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم • وذكرهم وساوسهم • وكنزهم سواسهم •وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم• فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان • أبا لهام الهى ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها • أم بكمال علمى وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالها • هيهات هيهات هذا المطلب أنفس وأعزمن ان يدرك بالمنى • أو ينال بالهوينا • فاشتغل انت بشأنك • ولا تضيع فيهم بقية زمانك • وأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى

فصل

فأما انت ان أردت ان تنتزع هذه الحسكة من صدرك • وصدر من هو فى حالك • ممن لا تحركه غواية الحسود • ولاتقيده عماية التقليد • بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال أثارها فكر •وهيجها نظر •فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان

زعم ان حد الكفر مايخالف مذهب الاشعرى أومذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم فاعلم انه غربليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى من العميان ، فلا تضيع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة فى افحامه ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لايجد بين نفسه و بين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلا ، ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فاسأله من أين ثبت له ان كون الحق وقفاً عليه حتى قضي بكفر الباقلانى اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم انه ليس هو وصفاً لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلانى أولي بالكفر بمخالفته الاشعرى من الاشعرى بمخالفته الباقلانى ، ولم صار الحق وقفاً على احدهما دون الثانى ، أ كان ذلك لاجل السبق فى الزمان ، فقد سبق الاشعرى غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ، أم لاجل التفاوت فى الفضل والعلم ، فبأى ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل فى الوجود من متبوعه ومقلده ، فان رخص للباقلانى فى مخالفته فلم حجر على غيره ، وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسي والقلانسى وغيرهم ، وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ، وان زعم ان خلاف الباقلانى يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً انهما جميعاً متوافقان على دوام الوجود والخلاف فى أن ذلك يرجع الى الذات أو الي وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول علي المعتزلي فى نفيه الصفات وهو معترف بان الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات وانما يخالف الاشعرى فى انه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين وأي مطلب اجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر فى نفيها واثباتها فان قال انما اكفر المعتزلى لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة يستحيل ان توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لايستبعد من الاشعرى قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالي ومع كونه واحدا هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهى وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر مايتطرق اليه

التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات علي شئ واحد فان تخبط فى جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد أن يَسكت و يُسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلا له كان مستتبعاً لا تابعاً واماماً لامأموماً فان خاض المقلد فى المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب فى حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد ــ وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر ــ ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض أقرب أما الكفر فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذى لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر الا بمخالفته وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في نظرك الا مارأيت وكل مارأيته حجة وأى فرق بين من يقول قلدني فى مجرد مذهبي و بين من يقول قلدنى في مذهبي ودليلى جميعاً وهل هذا الا التناقض

فصل

لعلك تشتهى ان تعرف حد الكفر بعد ان تتناقض عليك حدود أصناف المقلدين فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني أعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في أهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ماداموا متمسكين بقول لااله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام فى شئ مما جاء به والايمان تصديقه فى جميع ماجاء به فاليهودى والنصرانى كافران لتكذيبهما للرسول عليه الصلاة والسلام والبرهمي كافر بالطريق الاولى لانه انكر مع رسولنا سائر المرسلين والدهرى كافر بالطريق الاولى لانه انكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل وهذا لان الكفر حكم شرعيّ كالرق

والحرية مثلا اذ معناه اباحة الدم والحكم بالخلود فى النار ومدركه شرعى فيدرك اما بنص واما بقياس على منصوص وقد وردت النصوص فى اليهود والنصارى والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هى العلامة المطردة المنعكسة

فصل

اعلم ان الذى ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لان كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام فالحنبلى يكفر الاشعرى زاعماً انه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفى الاستواء على العرش . والاشعري يكفره زاعماً انه مشبه وكذب الرسول فى انه ليس كمثله شيء . والاشعرى يكفر المعتزلى زاعماً انه كذب الرسول فى جواز رؤية الله تعالى وفى اثبات العلم والقدرة والصفات له . والمعتزلى يكفر الاشعري زاعماً ان اثبات الصفات تكثير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حدّ التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك غلو هذه الفرق واسرافها فى تكفير بعضها بعضاً

فاقول التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى المخبر وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده الا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسى وخيالي وعقلى وشبهي فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها فى التأويلات .

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى أخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذى لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسى فهو ما يتمثل فى القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجوداً في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم

بل كما يشاهده المريض المتيقظ اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحى والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب فى اليقظة ما يتلقاه غيرهم فى النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشراً سويا) وكما انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن ما رآه فى صورته الا مرتين وكان يراه فى صور مختلفة يتمثل بها وكما يري رسول الله صلي الله عليه وسلم فى المنام وقد قال من رآنى فى النوم فقد رآنى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم بل هى على سبيل وجود صورته فى حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه فى بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان فى حسك لا فى الخارج عن حسك لان الموجود فى الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطاً في أوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجوداً فى حالة واحدة وهو ثابت فى مشاهدتك في حالة واحدة

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخترع فى خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضاً عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلى فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقي العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته فى خيال أو حس أو خارج كاليد مثلا فان لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهى القدرة علي البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ماتنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

وأما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته

لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا اذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الاشياء

فصل

اسمع الآن أمثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذى يجرى على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجرى على ظاهره ولا يتأول اذ هذه أجسام موجودة في أنفسها أدركت بالحس والخيال أو لم تدرك

وأما الوجود الحسى فأمثلته في التأويلات كثيرة وأقنع منها بمثالين :

أحدهما قول رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض أو عدم عرض وان قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجوداً في حسهم لا في الخارج ويكون سبباً لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك اذ المذبوح ميؤس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشاً في ذاته ويذبح

المثال الثانى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت عليّ الجنة في عرض هذا الحائط فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنتقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها فى الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال شيء كبير فى جرم صغير كما تشاهد السماء فى مرآة صغيرة ويكون ذلك أبصارا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة و بين ان تغمض عينيك فتدرك صورة السماء فى المرآة على سبيل التخيل

وأما الوجود الخيالى فمثاله قوله صلي الله عليه وسلم كأنى أنظر الي يونس بن متي عليه عباتان قطوانيتان يلبى وتجيبه الجبال والله تعالى يقول له لبيك يا يونس والظاهر ان هذا انباء عن تمثيل الصورة فى خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً فى الحال . ولا يبعد أن يقال أيضاً تمثل هذا فى حسه حتي صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور ولكن قوله كأنى أنظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم بالمثال لا عين هذه الصورة وعلى الجملة فكل مايتمثل فى محل الخيال فيتصور أن يتمثل فى محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل مايتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل

وأما الوجود العقلى فامثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين .

احدهما قوله صلى الله عليه وسلم آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسى والخيالى ثم قد يتعجب فيقول ان الجنة فى السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول المراد به تفاوت معنوى عقلى لا حسى ولا خيالي كما يقال مثلا هذه الجوهرة اضعاف الفرس أى فى روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل

المثال الثانى قوله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً فقد أثبت لله تعالى يداً ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية أعنى انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها . ان روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل ويعطى ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه الصلاة والسلام أول ما خلق الله العقل فقال بك اعطى وبك امنع ولا يمكن ان يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن ان يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الي تعلم

وربما يسمي قلما باعتبار انه تنقش به حقائق العلوم فى الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحياً والهاماً فانه قد ورد في حديث آخر ان أول ما خلق الله تعالي القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمي عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى فى كونه واسطة بينه و بين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحى كما يسمي جبريل روحاً باعتبار ذاته وأمينا باعتبار ما أودع من الاسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوي باعتبار كمال قوته ومكينا عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا فى حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد أثبت قلما ويداً عقلياً لا حسياً وخيالياً وكذلك من ذهب الى أن اليد عبارة عن صفةالله تعالى اما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما وردفى حق الله تعالى فان الغضب مثلاحقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لاينفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتاً ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب فىحقيقة ذاته ولكن فى صفة منالصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التأويلات

فصل

اعلم ان كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع علىدرجة من هذهالدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفى جميع هذه المعانى ويزعم ان ما قاله لا معنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام الا وهو مضطر اليه فابعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رحمة الله عليه وابعد التأويلات عن الحقيقة واغربها

ان تجعل الـكلام مجازا أو استعارة وهوالوجود العقلي والوجود الشبهى والحنبلي مضطر اليه وقائل به فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون ان أحمد بن حنبـل رحمه الله صرح بتأويل ثـلاثة أحاديث فقط • أحدها قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله فى الارض • والثاني قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن • والثالث قوله صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من قبـل اليمن فانظر الآن كيف أول هـذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل فى العادة تقرباً الى صاحبها والحجر الاسود يقبل أيضاً تقربا الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا فى ذاته ولا فى صفات ذاته ولـكن في عارض من عـوارضه فسمى لذلك يميناً وهذا الوجود هو الذى سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل فانظر كيف اضطر اليه أبعد الناس عن التأويل وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من فتش عن صـدره لم يشاهد فيه أصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهى الاصبع العقلية الروحانية أعنى ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فـكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر أحمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا فى هـذا القدر لانه لم يكن ممعنا فى النظر العقلى ولو أمعن لظهر له ذلك فى الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله • والاشعري والمعتزلى لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة فى أمـور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها أكثر الظواهر الا يسيراً • والمعتزلة أشد منهم توغلا فى التأويلات وهم مع هـذا — أعنى الاشعرية — يضطرون أيضاً الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يؤتى بالموت فى صورة كبش املح وكما ورد فى وزن الاعمال بالميزان فان الاشعرى أول وزن الاعمال فقال توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها أوزاناً بقدر درجات الاعمال وهذا رد الي الوجود الشبهى البعيد فان الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على أعمال هي اعراض فليس الموزون اذاً العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل • والمعتزلى تأول نفس الميزان وجعله كناية عن

سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو أبعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح أحد التأويلين بل أن تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الي التأويل الا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقاً . والموت وان كان عرضا يستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب . والاعمال وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل

فصل

فاسمع الآن قانون التأويل فقد علمت اتفاق الفرق علي هذه الدرجات الخمس فى التأويل وان شيئاً من ذلك ليس من حيز التكذيب واتفقوا أيضاً علي ان جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر والظاهر الاول هو الوجود الذاتى فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن مابعده فان تعذر فالوجود الخيالى أوالعقلى وان تعذر فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الى مادونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين: اذ يقول الحنبلي لا برهان على استحالة اختصاص البارى بجهة فوق ويقول الاشعرى لا برهان على استحالة الرؤية وكأن كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعاً . وكيف ما كان فلا ينبغي ان يكفر كلّ فريق خصمه بأن يراه غالطاً في البرهان نعم يجوز أن يسميه ضالا أو مبتدعاً . أما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده . وأما مبتدعاً فمن حيث انه ابتدع قولا لم يعهد من السلف الصالح التصريح به اذ المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يرى . فقول القائل لا يرى بدعة وتصريحه بتأويل الرؤية بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكروه لكن عند هذا يقول الحنبلى اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر أحد منهم ان خالق العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا داخلا ولا خارجاً وان الجهات الست خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت .

فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف وعنـد هذا يتضح لك ان ههنا مقامين .

أحدهما مقام عوام الخلق . والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً والحذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع ماتشابه من الكتاب والسنة كما روى عن عمر رضى الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة

المقام الثانى بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ولاينبغى ان يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطاً فيما يعتقـده برهاناً فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا فى الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقدذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم) وهى التى لايتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلا بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن لايستحيل منهم الاختلاف أيضاً اماالقصور بعضهم عن ادراك تمام شروطه واما فى رجوعهم في النظر الى محض القريحة والطبع دون الوزن بالميزان كالذى يرجع بعد تمام تعلم العروض فى الشعر الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر على العروض فلايبعد أن يغلط . واما لاختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي هي أصول البراهين تجربية وتواترية وغيرها والناس يختلفون فيالتجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد مالايتواتر عندغيره وقد يتولى تجربةَ ما لا يتولاه غيره . واما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل واما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كمافصلنا ذلكفي كتاب (محكالنظر) . ولكنبالجملة اذاحصلواتلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر

فصل

من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي أن يبادر أيضاً الى كفره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربى غير ظاهرها بل هي جواهر نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات في الكمال ونسبةُ ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بان الخليل عليه السلام اجل من ان يعتقد في جسم انه اله حتي يحتاج الى ان يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أ كان يتخذه الهاً ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا • واستدل بانه كيف يمكن ان يكون أول مارآه الكوكب والشمس هي الاظهر وهي أول مايري • واستدل بان الله تعالى قال أولا (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكي هذا القول فكيف يمكن ان يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له وهذه دلالات ظنية وليست براهين

اما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل انه كان صبياً لما جرى له ذلك ولا يبعد ان يخطر لمن سيكون نبياً في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه علي قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الافول على الحدوث عنده أظهر من دلالة التقدير والجسمية

وأما رؤية الكوكب أولا فقدروي انه كان محبوساً في صباه في غار وانما خرج بالليل

وأما قوله تعالى أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) فيجوز ان يكون الله تعالى قدذكر حال نهايته ثم رجع الي ذكر بدايته فهذه وامثالها ظنون يظنها براهين من لا يعرف حقيقة البرهان وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا العصا والنعلين في قوله تعالى (اخلع نعليك) وقوله (وألق ما في يمينك) ولعل الظن في مثل هذه الامور التى لا تتعلق باصول الاعتقاد يجرى مجرى البرهان في أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع به صاحبه في كل مالم يؤثر عن السلف ذكره: ويقرب منه قول بعض الباطنية ان عجل

السامري مؤول اذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون الهاً وهذا أيضاً ظن اذ لا يستحيل ان تنتهي طائفة من الناس اليه كعبدة الاصنام وكونه نادراً لا يورث يقيناً

واما مايتعلق من هذا الجنس باصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون واوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعاً اذ لا برهان علي استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من تعلق به وهو مذهب أكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لا يعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التأويل اذ أدلة القرآن والأخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم تعلق علم الله تعالى بتفصيل كلما يجرى علي الاشخاص مجاوز حدا لا يقبل التأويل وهم معترفون بان هذا ليس من التأويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلى وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله تعالي عالم بما يجرى عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول عليه السلام ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره فقال مافيه صلاحه وان لم يكن كما قاله . وهذا القول باطل قطعاً لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذراً في انه لم يكذب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذه أول درجات الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا العذر بل يأول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه . والفلسفي لا يقتصر على مجاوزته للظاهر على مايقبل التأويل على قرب أو على بعد

وأما الزندقة المطلقة فهو ان تنكر أصل المعاد عقلياً وحسياً وتنكر الصانع للعالم

أصلاً ورأساً

وأما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل العلوم فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهرُ ظني ــ والعلم عند الله ــ ان هؤلاء هم المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام ستفترق أمتي بضعاً وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات وظاهر الحديث يدل على انه أراد به الزنادقة من أمته اذ قال ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجوداً بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذاً لا معنى لزندقة هذه الامة الا ماذكرناه

فصل

اعلم ان شرح ما يكفر به ومالا يكفر به يستدعي تفصيلا طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل واحد ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله وذلك لا يحويه مجلدات ولا تتسع لشرح ذلك أوقاتي فاقنع الآن بوصية وقانون

أما الوصية فان تكف لسانك عن أهل القبلة ماامكنك ماداموا قائلين لااله الاالله محمد رسول الله غير مناقضين لها والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر أوغير عذر فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه

وأماالقانون فهوان تعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول القواعد وقسم يتعلق بالفروع • وأصول الايمان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وماعداه فروع واعلم انه لا تكفير في الفروع أصلا الا في مسألة واحدة وهي ان ينكر أصلا دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة • واعلم ان الخطأ في أصل الامامة وتعينها وشروطها وما يتعلق بها لايوجب شيء منه تكفيراً فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب

الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت الى قوم يعظمون أمر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقروناً بالايمان بالله وبرسوله ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم فى الامامة فكل ذلك اسراف اذ ليس فى واحد من القولين تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم أصلا ومهما وُجد التكذيب وجب التكفير وان كان في الفروع فلوقال قائل مثلا البيت الذى بمكة ليس الكعبة التى أمر الله تعالى بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه ولو أنكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا انه معاند في انكاره الا أن يكون قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عائشة رضى الله عنها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر لان هذا وأمثاله لا يمكن الا بتكذيب الرسول أو انكار التواتر والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولايمكنه ان يجهله بقلبه نعم لو أنكر ماثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو أنكر ماثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة أصلا فصار كون الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع

وأما الاصول الثلاثة وكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه وتواتر نقله ولم يتصور ان يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال التأويل ولو بالمجاز البعيد فننظر فيه الى البرهان فان كان قاطعاً وجب القول به ولكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعياً لكن يفيد ظنا غالباً وكان مع ذلك لا يعلم ضرره فى الدين كنفى المعتزلى الرؤية عن الله تعالى فهذه بدعة وليس بكفر

وأما ما يظهر له ضرر فيقع فى محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر ويحتمل أن لا يكفر . ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي التصوف انه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالي أسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصى وأكل مال السلطان فهذا ممن لا شك في وجوب قتله وان كان في الحكم بخلوده فى النار نظر .

وقتلُ مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر اذ ضرره فى الدين أعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسدّ وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمنع عن الاصغاء اليه لظهور كفره • وأما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته فى الدين وربما يزعم انه يلابس ويقارف المعاصى بظاهره وهو بباطنه بريء عنها ويتداعى هذا الى أن يدّعى كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الدين

ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك قطعاً فى كل مقام بل التكفير حكم شرعى يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود فى النار فمأخذه كمأخذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير أولى والمبادرة الي التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل ولا بد من التنبيه علي قاعدة أخرى وهو ان المخالف قد يخالف نصاً متواترا ويزعم انه مؤول ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلا في اللسان لا على بعد ولا علي قرب فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول • مثاله ما رأيته فى كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطى الوحدة ويخلقها • وعالم بمعنى انه يعطى العلم لغيره ويخلقه • وموجود بمعنى انه يوجد غيره • وأما ان يكون واحداً فى نفسه وموجودا وعالما على معنى اتصافه فلا • وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة علي ايجاد الوحدة ليس من التأويل فى شيء ولا تحتمله لغة العرب أصلا ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً لخالقه الوحدة لسمي ثلاثاً وأربعاً لانه خالق الاعداد أيضاً فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات

فصل

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر فى التكفير يتعلق بأمور : أحدها ان النص الشرعى الذي عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل أم لا • فان احتمل فهل هو قريب أم بعيد • ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل ليس بالهين بل

لا يستقل به الا الماهر الحاذق في علم اللغة العارف بأصول اللغة ثم بعادة العرب فى الاستعمال في استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها فى ضروب الامثال

الثاني فى النص المتروك انه ثبت تواترا أو آحادا أو بالاجماع المجرد فان ثبت تواترا فهو على شرط التواتر أم لا اذ ربما يظن المستفيض تواتراً :وحد التواتر ما لا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر فى الاعصار كلها عصراً بعد عصر الي زمان النبوة فهل يتصور ان يكون قد نقص عدد التواتر فى عصر من الاعصار وشرط التواتر أن لا يحتمل ذلك كما في القرآن أما فى غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً ولا يستقل بادراكه الا الباحثون عن كتب التواريخ وأحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث وأحوال الرجال وأغراضهم فى نقل المقالات اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم اذ كان يتصور ان يكون للجمع الكثير رابطة في التوافق لا سيما بعدوقوع التعصب بين أرباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص على عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فى الامامة لتواتره عندهم وتواتر عند خصومهم فى أشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض على اقامة أكاذيبهم واتباعها

وأما ما يستند الي الاجماع فدرك ذلك من أغمض الاشياء اذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد فى صعيد واحد فيتفقوا على أمر واحد اتفاقا بلفظ صريح ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى تمام انقراض العصر عند قوم أو يكاتبهم امام فى اقطارالارض فيأخذ فتاويهم في زمان واحد بحيث تتفق أقوالهم اتفاقا صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده: ثم النظر فى ان من خالف بعده هل يكفر لان من الناس من قال اذا جاز فى ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم أن رجع بعد ذلك وهذا غامض أيضا

الثالث النظر في أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر أو هل بلغه الاجماع اذ كل من يولد لا تكون الامور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وانما يدرك ذلك شيئاً فشيئا وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب

المصنفة فى الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم فى ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به . وقد صنف أبو بكر الفارسى رحمه الله كتابافي مسائل الاجماع وأنكر عليه كثير منه وخولف فى بعض تلك المسائل فاذا من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطيء وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بيسير

الرابع النظر فى دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا . ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا فى مجلدات وماذكرنا فى كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر) انموذج منه . وتكل قريحة أكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان على الاستيفاء ولابد من معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعاً رخص فى التأويل وان كان بعيداً فاذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا فى تأويل قريب سابق الى الفهم

الخامس في ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها في الدين أم لا . فان مالايعظم ضرره فى الدين فالامر فيه أسهل وان كان القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختف فى سرداب فانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جداً ولكن لاضرر فيه على الدين انما الضرر على الاحمق المعتقد لذلك اذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع الى بيته خاسئاً وهذا مثال : والمقصود انه لا ينبغي ان يكفر بكل هذيان وان كان ظاهر البطلان فاذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التي لا يستقل بآحادها المبرزون علمت ان المبادر الى تكفير من يخالف الاشعري أوغيره جاهل مجازف وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفى أى ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم فاذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدى بالعلوم غريزة فى الطبع لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من لا يدرى لقل الخلاف بين الخلق

فصل

من أشد الناس غلوا واسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بادلتنا التي حررناها فهو كافر فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولا وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ماتواتر من السنة ثانياً اذ ظهر لهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضي الله عنهم حكمهم باسلام طوائف من اجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد أبدع حد الابداع بل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عبيده عطية وهدية من عنده تارة ببينة من الباطن لا يمكنه التعبير عنها وتارة بسبب رؤيا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً فلما وقع بصره على طلعته البهية زادها الله شرفا وكرامة فرآها يتلألأ منها أنوار النبوة قال والله ماهذا بوجه كذاب وسأله ان يعرض عليه الاسلام فأسلم وجاء آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله آلله بعثك نبياً فقال عليه الصلاة والسلام اى والله الله بعثني نبياً فصدقه بيمينه وأسلم وهذا وامثاله أكثر من ان يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الادلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت شعرى متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضى الله عنهم احضار اعرابى اسلم وقوله له الدليل على ان العالم حادث انه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة زائدة عن الذات لا هى هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجر أيضاً ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف و جماعة

من الاسارى يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها • نعم لست أنكر أنه يجوز ان يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان في حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصور عليه وهو أيضا نادر بل الانفع الكلام الجارى فى معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن • فاما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بان فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى لا لكونه حقا فى نفسه وربما يكون ذلك سببا لرسوخ العناد في قلبه ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعي الى مذهب أبي حنيفة ولا على العكس وتجري هذه الانتقالات بأسباب أخر حتي فى القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض فى الكلام و يشتغل بالبحث والسؤال واذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بان الخوض فى الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لاحد شخصين رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظى ولا بخبر نقلى عن رسول فيجوز ان يكون القول المرتب الكلامى رافعا شبهته ودواء له فى مرضه فيستعمل معه ذلك ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك أن يحرك فى نفسه اشكالا و يثير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح

والثانى شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بأنوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعا اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل به الشك و يدرأ الشبهة فى حق المشكل فرض عين اذا لم يمكن اعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه • والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقادا جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامى ضعيف جدا مشرف

على الزوال بكل شبهة بل الايمـان الراسخ ايمان العوام الحاصل فى قلوبهم فى الصبي بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن التعبير عنها وتمام تأكده بلزومه العبادة والذكر فان من تمادت به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له أنوار المعرفة وصارت الامور التى كان قد أخذها تقليداً عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التى لا تحصل الا بعد انحلال عقدة اعتقادات وانشراح الصدر بنور الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شرح الصدر فقال نور يقذف فى قلب المؤمن فقيل وما علامته • قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود • فبهذا يعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو أدركها لتجافى عن دار الغرور قطعاً

فصل

لعلك تقول انت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية والشارع صلوات الله عليه هو الذى ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم اذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار فيقول يارب من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين • وقال عليه الصلاة والسلام ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة

الجواب : ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار مخلدون بل انهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصى لا يكون فى الالف الا واحداً وكذلك قال الله تعالى (وان منكم الا واردها) ثم بعث النار عبارة عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى وهي أكثر من ان تحصى • فمنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فقدت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو فى مشربة يصلي فرأيت على رأسه أنواراً ثلاثة فلما قضى صلاته قال مهيم من هذه قلت أنا عائشة يا رسول الله قال أرأيت

الانوار الثلاثة ، قلت نعم يارسول الله قال ان آت أتاني من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في النور الثاني آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفا المضاعفة سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رسول الله لا تبلغ أمتك هذا قال يكملون لكم من الاعراب ممن لا يصوم ولا يصلي

فهذا وأمثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير ، فهذا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، وأنا أقول ان الرحمة تشمل كثيرا من الامم السالفة وان كان أكثرهم يعرضون على النار اما عرضة خفيفة حتى في لحظة أو في ساعة واما في مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار ، بل أقول ان أكثر نصاري الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة ان شاء الله تعالي أعنى الذين هم في أقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة أصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلا فهم معذورون ، وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون ، وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا أيضاً منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعي النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقفع بعثه الله تحدي بالنبوة كاذبا فهؤلاء عندى في معنى الصنف الاول فانهم مع انهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب

وأما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكة منها واحدة ولكن الاشهر تلك الرواية ومعني الناجية هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج الي الشفاعة بل الذى تتعلق به الزبانية لتجره الى النار فليس بناج على الاطلاق وان انتزع بالشفاعة من مخاليبهم وفي رواية كلها في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكة واحدة وهي التي تخلد في

النار ويكون الهالك عبارة عمن وقع اليأس عن صلاحه لان الهالك لا يرجي له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهي التى تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج اذا ومن عرّض للشفاعة فقد عرّض للمذلة فليس بناج أيضاً على الاطلاق وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره ٠ وباقي الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين فنهم من يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعــة ومنهم من يدخــل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم فى عقائدهم و بدعتهم وعلي كثرة معاصيهم وقلتها ٠ فاما الهالكة المخلدة في النار من هــذه الامة فهي فرقة واحــدة وهي التى كذبت وجوّزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة

وأما من سائر الامم فمن كذبه بعد ماقرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فاعرض عنه وتولي ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ولا يدخل فى هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد ان تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من أهــل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر وان انبعثت الداعية فقصر فى الطلب فهو أيضاً كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضاً مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية

واعلم ان الآخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فكما ان أكثر أهل الدنيا فى نعمة وسلامة أو فى حالة يغبطها اذ لو خير بينها و بين الاماتة والاعدام مثــلا لاختارها وانما المعذب الذى يتمنى الموت نادر فكذلك المخلدون فى

النار بالاضافة الى الناجين والمخرجين منها في الآخرة نادر فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف أحوالنا وانما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف أحوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث قال أول ما خط الله في الكتاب الاول انا الله لااله الا أنا سبقت رحمتي غضبي فمن شهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فله الجنة

واعلم ان أهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها بأسباب ومكاشفات سوى ما عندهم من الاخبار والآثار ولكن ذكر ذلك يطول فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة ان جمعت بين الايمان والعمل الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعاً وان كنت صاحب يقين في أصل التصديق وصاحب خطأ في بعض التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة

واعلم انك بين ان تعذب مدة ثم تخلى و بين ان يشفع فيك من تيقنت صدقه في جميع ما جاء به أو غيره فاجتهد ان يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخطر

فصل

قد ظن بعض الناس ان مأخذ التكفير من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود في النار حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع وان أراد به ان المفهوم من الشارع ان الجاهل بالله هو الكافر فهذا لا يمكن حصره فيه لان الجاهل بالرسول وبالآخرة أيضاً كافر ثم ان خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده أو وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه وان جعل المخطيء في الصفات أيضاً جاهلا أو كافراً لزمه تكفير من نفي صفة البقاء وصفة القدم ومن نفي الكلام وصفا زائداً على العلم ومن نفي السمع والبصر زائداً على العلم ومن نفي جواز الرؤية ومن أثبت الجهة وأثبت ارادة حادثة لا في ذاته ولا في محل وتكفير المخالفين فيه وبالجملة يلزمه التكفير في كل مسئلة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك

حكم لا مستند له وان خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد لذلك فصلا ومردا ولا وجه له الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب بالرسول و بالمعاد ويخرج منه المؤوّل ثم لا يبعد ان يقع الشك والنظر في بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب حتى يكون التأويل بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت ان هذه مسئلة اجتهاد

فصل

من الناس من قال انما أكفر من يكفرني من الفرق ومن لا يكفرني فلا . وهذا لا مأخذ له فان قال قائل عليٌّ رضي الله عنه أولى بالامامة اذا لم يكن كفرا فبان يخطئ صاحبه ونظن ان المخالف فيه كافر لا يصير كافرا وانما هو خطأ في مسئلة شرعية وكذلك الحنبلي اذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط أو يظن ان نافي الجهة مكذب وليس بمتأول وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما معناه ان يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف من غيره انه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً

فأما ان كفره لظنه انه كذب الرسول فهذا غلط منه في حال شخص واحد اذقد يظن به انه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفراً فقد أفدناك بهذه الترديدات التنبيه على أعظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي ينبغي ان يتبع فيه فاقنع به والسلام

تم كتاب فيصل التفرقه و يليه رسالة الوعظ والاعتقاد لابي حامد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بلغني عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد حرس الله توفيقه وسمره في مهمّ دينه ما قوى رغبتي في مؤاخاته في الله تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين . وهذه الاخوة لا تستدعي مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان وانما تستدعى قرب القلوب وتعارف الارواح وهي جنود مجندة فاذا تعارفت ائتلفت . وها أنا عاقد معه عقد الاخوة في الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخليني عن دعوات في أوقات خلوته وأن يسأل الله تعالى أن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه وأن يريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه . ثم قرع سمعي انه التمس مني كلاماً في معرض النصح والوعظ وقولا وجيزاً فيما يجب على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد .

أما الوعظ فلست أرى نفسي اهلا له لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره و (متي يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت بهما نفسي فصدقت وقبلت قولا وعقلا وابت وتمردت تحقيقاً وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وانه الناصح الصادق فانه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فقالت نعم فقلت قال الله تعالي (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولائك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد وعدك الله تعالى بالنار على ارادة الدنيا وكل من لا يصحبك

بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو المرض على تناولك الذ الشهوات لتحاشيها واتقيتها أكان النصرانى عندك اصدق من الله تعالى فان كان ذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال تعالي (ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقلت لها هبي انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة آتيك وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت راغبة فيه وكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالي (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه والحر الحكيم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها واللائم يتمسك بها الي أن يخرج من الدنيا خائباً خاسراً متحسراً فقالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه اذ لم تجتهد قط فى التزود للآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجل ولم تجتهد قط فى رضاء الله تعالى كاجتهادها فى رضاها بل كاجتهادها فى طلب الخلق ولم تستحى قط من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها في الصيف فانها لا تطمئن فى أوائل الشتاء ما لم تفرغ من جميع ماتحتاج اليه فيه من آلاته مع ان الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها . وقلت لها ألا تستعدي للصيف بقدر طوله وتصنعي آلة الصيف بقدر صبرك على الحر . قالت نعم . قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت هذا هو الواجب الذى لا يرخص فى تركه الا الاحمق ثم استمرت على سجيتها فوجدتنى كما قال بعض الحكماء ان فى الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر وما أرانى الا منهم ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشي حتى وقفت على سببه وها

أنا مؤنس واياه بالحذر منه فهو الداء العضال وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه علي القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره انه يموت في ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوي على الطريق المستقيم ولترك جميع ما هو فيه مما يظن انه مما يتعاطاه لله تعالى وهو مغرور فيه فضلا عما يعلم انه ليس لله تعالي فانكشف تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل ان يمسى أو أمسي وهو يأمل ان يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا علي سير ضعيف فاوصيه ونفسي بما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلّ صلاة مودّع ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به فمن غلب علي قلبه فى كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه قلبه فى الصلاة وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة ومن عجز عن ذلك فلا يزال فى غفلة دائمة وغرور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت فتدركه حسرة الفوت وانا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى ان يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه ان لا يرضى من نفسه الا بها وان يحذر من مواقع الغرور فاذا وعدت النفس بذلك طالبها بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع النفس لا يقف عليه الا الا كياس

وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله لااله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه في صفات الله تعالى فانه حى قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسئلة حتى مات مات مؤمنا وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون بل كلما حصل فى قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل و برهان فهو مؤمن ولم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام الخلق الا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه و بقي مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه وان أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد في القرآن

القدم كما قال السلف القرآن كلام الله غيرمخلوق و يعتقد ان الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع ايمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية فان لم ينفعه ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فان أمكن ازالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قوياً عند المتكلمين ولامرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل بل الاولى ان يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقاً لا يحتمله عقله ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام

وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجرى مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر الدجلة خوفاً من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا أن ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله راض من الله تعالى في كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون في بحر الجهالات حيث لا يشعرون فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف في الايمان بالرسل والتصديق المجمل بكل ما نزله الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل اذ قال صلى الله عليه وسلم حيث رأي أصحابه يخوضون بعد ان غضب حتي احمرت وجنتاه أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمركم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على المنهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام تمت الرسالة بعون الله ومنه والحمد الله وحده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تمت رسالة الوعظ وهي رسالته الى أبى الفتح أحمد بن سلامة الدمي
ويليها كتاب مشكاة الانوار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع الاستار والصلاة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار و بشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلي آله وأصحابه الطاهرين الاخيار ٠أما بعد فقد سألتنى أيها الاخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقيّ عما سوى الحق سريرتك ان أبث اليك أسرار الانوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الآيات المتلوّه والاخبار المروية مثل قوله تعالى(الله نور السموات والارض)ومعنى تشبيهه ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه السلام ان لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره ولقد ارتقيت بسؤالك مرتقي صعبا تنخفض دون أعاليه مرامى أعين الناظرين وقرعت بابا مغلقاً لا ينفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشي ولا كل حقيقة تعرض وتجلي بل صدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الاولين والآخرين ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره عليهم الا أهل الاغترار بالله ومهما كثر أهل الاغترار بالله وجب حفظ الاسرار عن وجه الاشرار لكنى أراك منشرح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور فلأشح عليك بالاشارة الي لوامع ولوائح والرمز الى حقائق ودقائق فليس الظلم في كف العلم عن أهله بأقل منه فى بثه الى غير أهله فقد قيل

فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول فيه يستدعي تمهيد أصول وشرح فصول ليس يتسع له الآن وقتى ولا ينصرف اليه ذهني ولا همتى ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا شاء كما شاء بما شاء وانما ينفتح فى هذا الوقت فصول ثلاثة

الفصل الاول

(فى بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له)

و بيانه بأن تعرف معني النور بالوضع الاول عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ثم تعرف درجات النور المنسوبة الي الخواص وحقائقها لينكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشاف حقائقها انه النور الحق الحقيقي وحده لاشريك له فيه أما الوضع الاول العامى فالنور يشير الى الظهور والظهور أمر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لغيره و يبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطناً بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة وأقوي الادراكات وأجلها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشياء بالاضافة الى الحس البصرى ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام المضيئة مثل الكواكب وجسم النار اذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه و يبصر به غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرج والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الاجسام المنيرة علي ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة أيضاً لانها فى أنفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه و يبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الاول (دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور وعلي وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهرا فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر فى كونه ركنا لا بد منه للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك وأما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكان اسم النور بالنور أحق منه بالنور المبصر فاطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفى الاعمش انه ضعيف نور البصر وفى

الاعمى انه فقد نور بصره وفي السواد انه يجمع نور البصر و يقويه والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين وأما البياض فيفرق نور العين فيضعف نوره حتى ان ادامة النظر الي البياض المشرق بل الي نور الشمس يبهر نور العين و يمحقه كما يمحق الضعيف فى جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصر يسمى نورا وانه لم سمي نورا وانه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص (حقيقة) اعلم ان نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب و يبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها و يبصر من الموجودات بعضها دون كلها و يبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له و يغلط كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريباً والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان فى الاعين عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت شعرى هل هو أولى باسم النور فعلم ان في قلب الانسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني دع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعنى به المعنى الذى يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلا متابعة للجمهور فى الاصطلاح فنقول: العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع . . أما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره و يدرك نفسه و يدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالما وقادرا و يدرك علم نفسه و يدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه بعلمه نفسه الي غير نهاية وهذه خاصة لاتتصور لما يدرك بآلة الاجسام ووراءه سر يطول شرحه . . الثانية ان العين لاتبصر ماقرب منها قرباً مفرطا ولا ما بعد والعقل عنده يستوى القريب والبعيد و يعرج فى طرفة الى أعلا السموات رقياً و ينزل في لحظة الى تخوم الارض هويا بل اذا حقت الحقائق انكشف انه منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه القرب والبعد الذى يعرض بين الاجسام فانه أنموذج من بحور الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساوقة وهذا ربما

هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فلست أرى الآن الخوض فى بيانه .. الثالثة ان العين لا تدرك ما وراء الحجاب والعقل يتصرف فى العرش والكرسى وما وراء حجب السموات وفى الملأ الاعلي والملكوت كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة أعنى بها الخاصة به بل الحقائق كلها لا تحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا فى الفصل الثالث من الكتاب .. الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلي دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط أسبابها وعللها وحكمها وانهام حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشيء وركب وعلى أى مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى سائرمخلوقاته الى مباحث أخر يطول شرحها نري الايجاز فيها أولي .. الخامسة ان العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارةوالبرودة والقوى المدركة أعنى قوة السمع والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجري لا تسمه مجاوزة عالم الالوان والاشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام فى نفسها أخس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعده وهو الاكثر فيتصرف فى جميعها ويحكم عليها حكما يقينا صادقا فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعانى الخفية عنده جلية فمن أين للعين الباصرة مساواته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هي جاسوس من جواسيسه وكلها باخس خزائنه وهي خزانة الالوان والاشكال لترفع الي حضرته أخبارها فيقضى فيها بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس جواسيسه سواها وهي من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له في

عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل أشد وشرح ذلك يطول وقد شرحناه فى كتاب عجائب القلب من كتب الاحيا .. السادسة ان العين لا تبصر ما لا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام المعلومات والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور ان تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده الا متناهياً لكن فى قوته ادراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول فان أردت له مثالا فخذ من الحساب فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك أنواعا من النسب بين الاعداد ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشئ وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه بعلمه وقوته فى هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية .. السابعة ان العين تدرك الكبير صغيرا فترى الشمس فى مقدار مجر والكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط أزرق والعقل يدرك ان الكواكب والشمس أكبر من الارض اضعافا مضاعفة ويرى الكواكب ساكنة بل يرى الظل بين يديه ساكنا ويرى الصبي ساكنا في مقداره والعقل يدرك ان الصبي يتحرك فى النمو والتزيد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك فى كل لحظة أميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل أزالت الشمس فقال لا نعم قال وكيف قال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون فى نظرهم فاعلم ان خيالاتهم وأوهامهم قد تحكم باعتقادات يظنون ان أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها فى كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليه وفى تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلى الاسرار ويصادف كل أحد ما قدمه من خير أو شر محضراً ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وعندها يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وعندها يقول المغ بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نه

موقنون فقد عرفت بهذا ان العين أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس ثم عرفت ان العقل أولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح ان يقال معه انه أولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه (دقيقة) اعلم ان العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها علي مرتبة واحدة بل بعضها تكون عندها كانها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بأن الشيء الواحد لا يكون قديما حديثا ولا يكون موجوداً معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجوداً كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية فى الواجبات والجائزات والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل فى كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى أن يهز أعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبهه كلام الحكماء فعند اشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكمة كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحرى ان يسمي القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نوراً فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) وقوله تعالي (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا) تكملة لهذه الدقيقة فاذا فهمت من هذا ان العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احداها ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهى الشمس المحسوسة والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذا انكشافا تاماً فقد انفتح لك باب من أبواب الملكوت وفى هذا العالم عجائب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الي هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم

عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هـذا العالم ولذلك قال تعالى(أولئك كالانعام بل هم أضل)واعلم ان عالم الشهادة بالاضافـة الى عالم الملـكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوى والعالم الروحانى والعالم النورانى وفى مقابلته العالم السفلى والجسماني والظلمانى ولا تظنن انا نعنى بالعالم العلوى السموات فانها علو وفوق فى حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك فى ادراكها البهائم وأما العبد فلا تفتح له أبواب الملـكوت ولا يصير ملـكوتياً الا وتبدل فى حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الاول لـكل سالك ابتدأ سفره لقرب حضرة الربوبية فالانسان مردود الى أسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى وأما الملائـكة فانهم من جملة عالم الملكوت عاكفون فى حضرة القـدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسـلم ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم أفاض عليهـم من نوره وقال لله ملائـكة هم أعلم بأعمال الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم الى عالم الملـكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى واشرفوا على جملة من عالم الغيب اذ من كان فى عالم الملـكوت كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب أى من عنده تنزل أسباب الموجودات فى عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منـه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجري الثمر بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات انما تؤثر من الاسـباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملـكوت كما سيأتى فى بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن موازاة المشبه به ومحاكاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو بعد وهذا الان له غور عميق ومن اطلع علي كنه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القـرآن علي يسر (دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا ان كل ما يبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره أيضاً مع انه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلا بل بالحري ان يسمي سراجاً

منيرا لفيضان أنواره على غيره وهــذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوى اذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيرا والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يحصى (دقيقة)اذا كان اللائق بالذي يستفاد منــه نور الابصار ان يسمى سراجاً منيرا فالذى يقتبس منه السراج فى نفسه جدير بأن يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس فى أصلها من أنوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار لـكن انمــا يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحري ان يكون مقتبس الارواح الارضية مــن الارواح الالهية العلوية التى وصفها على وابن عباس عليهما السلام فقالا ان لله ملكا له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يسبح الله بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفاً فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يؤنس الا من جانب الطــور (دقيقة) الانوار السماوية التى منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها أن تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولي باسم النور لانه أعلى رتبة ومثال ترتيبها في عالم الشهادة لا يدركه الانسان الا بأن يبصر ضوء القمر داخلا فى كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة علي حائط منعطفاً منها على حائط آخر فى مقابلتها ثم منعطفاً منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فأنت تعلم أن ما علي الارض من النور تابع لما على الحائط وما علي الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما فى القمر تابع لما فى الشمس اذ منها يشرق النور علي القمر وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملكوتية انما وجــدت علي ترتيب كذلك وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذى تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هى منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى و بينهم درجات تستعصى عن الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتبهم في صفوفهم وانهــم كما وصفوا به أنفسهم اذ قالوا (وما منا الا له

مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون (دقيقة) اذا عرفت أن الانوار لها ترتيب فاعلم انها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع أول هو النور لذاته و بذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الآن هل اسم النور أحق وأولى بالمستنير المستعير نوره من غيره أو بالمنير في ذاته المنور لكل ما سواه فما عندى انه يخفى عليك الحق فيه و به تتحقق ان اسم النور أحق بالنور الاقصى الا على الذى لا نور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره (حقيقة) بل أقول ولا أبالى ان اسم النور على غير النور الاولى مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة المستعار مجاز محض أفترى ان من استعار ثياباً وفرساً ومركبا وسرجا وركبه في الوقت الذى أركبه المعير وعلى الحد الذى رسمه له غنى بالحقيقة أو بالمجاز أو ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في نفسه كما كان وانما الغني هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذاً النور الحق هو الذى بيده الخلق والامر ومنه الانارة أولا والادامة ثانياً فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به و يتفضل عليه بتسميته اياه تفضل المالك على عبده اذا أعطاه مالا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم أنه وماله ملك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه أصلا (حقيقة) مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم وسمى مظلما لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجودا لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضاً ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق هو الله تعالي كما ان النور الحق هو الله تعالى

« حقيقة الحقائق » من ههنا يترقى العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبدا اذ لا يتصور الا كذلك فان كل شيء سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي يسرى اليه الوجود من الاول الحق رؤي موجوداً لا في ذاته بل من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله وجود فاذاً لا موجود الا الله ووجهه فاذاً كل شيء هالك الا وجهه ازلا وأبداً ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليستمعوا نداء الباري لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر انه أكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون هو أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من ان يقال له أكبر بمعنى الاضافة والمقايسة وأكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه نبياً كان أو ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسني في معاني أسماء الله الحسنى (اشارة) العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقا وحالا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً فلم يبق عندهم الا الله فسكروا سكرا وقع دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم انا الحق وقال الآخر سبحاني ما أعظم شاني وقال الآخر مافي الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكي فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذى هو ميزان الله في أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد مثل قول

العاشق فى حال فرط العشق

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا

فلا يبعد ان يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن ان الصورة التى رآها فى المرآة هي صورة المرآة متحدة بها ويرى الخمر فى الزجاج فيظن ان الخمرة لون الزجاج فاذا صار ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشا كل الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين ان يقال الخمر قدح وبين ان يقال كأنه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمي هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيدا ووراء هذه الحقائق أيضاً اسرار لا يجوز الخوض فيها

(خاتمة) لعلك تشتهي ان تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات والارض ولا ينبغي ان يخفي ذلك عليك بعد ان عرفت انه النور ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلى لان النور عبارة عما تنكشف به الاشياء وأعلا منه ما ينكشف به وله وأعلا منه ما ينكشف به وله ومنه وان الحقيقي منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له في ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض مشحونة نورا من طبيعتى النور أعنى المنسوب الى البصر والبصيرة أى الى الحس والعقل أما البصرى فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده فى الارض من الاشعة المنبسطة علي كل ما فى الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصاً فى الربيع وعلى كل حال من الحيوانات والنباتات والمعادن وأصناف الموجودات ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادرا كها الا

بواسطتها وأما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانسانى السفلى ظهر نظام العالم السفلى كما ان بالنور الملكي ظهر نظام العالم العلوى وهو المعنى بقوله (وهو الذي أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) وقال (ليستخلفهم في الارض) وقال (ويجعلكم خلفاء الارض) وقال (انى جاعل فى الارض خليفة) فاذا عرفت هذا عرفت ان العالم بأسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو النور النبوى القدسى وان الارواح النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبس من بعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل من نوره بل هو الكل بل هو هولا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار أنوار من الوجه الذي تليه لامن ذاتها فوجه كل موجه اليه ومول شطره (وأينما تولوا فثم وجه الله) فاذاً لااله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعنى وجوه القلوب فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو عبارة عما اليه الاشارة وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما أشرت فهو بالحقيقة الاشارة اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التى ذكرناها ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما فى الوجود فنسبته اليه فى ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذاً لااله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص لان ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه فى الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقاة اذ الرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما اليه الارتقا واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة و بطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء الاعلي علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة

غروج فان كان ثم تغير من حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعنى بالاشراق من علو الى أسفل لان الأعلي وان لم يكن له أعلى فله أسفل فهـذا غاية الغايات ومنتهى الطالبات يعلمه من يعلمه و ينكره من يجهله وهو من العلم الذى هو كنهه المـكنون الذى لا يعلمه الا العلماء بالله واذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء ان النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس أو تحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام صرت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه و بصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذاً لا غيره واليه الاشارة بقوله لموسي عليه السلام مرضت فلم تعدنى الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم بعد يستوى علي عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات سمواته فربما نظر الناظر اليـه فاطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن الى ان يمعن النظر فيه فيعلم ان ذلك له تأويل كقوله انا الحق وسبحاني بل كقوله عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدنى وكنت سمعه و بصره ولسانه فأرى الآن امساك عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار

(مساعدة) لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك فخذ اليك كلاماً أقـرب الى فهمك وأقرب لضعفك واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الي النور الظاهرى البصري فاذا رأيت ألوان الربيع وخضرتها مثلا فى ضياء النهار فلست تشـك فى انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فكأنك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها ولقد أصر على هـذا أقوام فزعموا ان النور لا معني له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه أظهر الاشـياء وكيف لا و به تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه و يبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقـة

ضرورية بين محل الظل و بين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يخفي وقد تكون شدته سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان أرباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد علي هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله (أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) والي الثاني الاشارة بقوله (سنريهم آياتنافي الآفاق وفى أنفسهم) فالاول صاحب مشاهدة والثانى صاحب استدلال بآياته والاولى درجة الصديقين والثانى درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه و به يظهر كل شيء ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذى به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الاشياء كلها دائماً فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض ولادرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد فى الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفى جميع الاوقات لا فى بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفى الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه الاحوال فى الشهادة له فلا يبعد ان يخفي و يكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما أيضاً لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه فى كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الي المكان بل الابعد عن اثارة هذا الخيال ان نقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذى نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفي عليك أيضاً ان المظهر قبل

المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التى هى قدر درجتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثانى

﴿ في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار ﴾

و بيان ذلك يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكني أشير اليهما بالرمز والاختصار . . أحدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعانى بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التى منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذى منه تنزل أرواح المعاني . . والقطب الثانى فى طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك وقد قرأ ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها وقرأ أبى بن كعب مثل نور قلب من آمن كمشكاة فيها

— (القطب الاول فى بيان سر التمثيل ومنهاجه) — اعلم ان العالم عالمان روحانى وجسماني وان شئت قلت حسى وعقلى وان شئت قلت علوى وسفلى والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فاذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسمانى وروحانى واذا اعتبرتهما بالاضافة الي العين المدركة لها قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوى وسفلى وربما سميت أحدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن ينظر الي الحقائق من الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة المعانى والذى تنكشف له الحقائق يجعل المعانى أصلا والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى (أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدي أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم) واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي العلوى عالم غيب اذ هوغائب عن الا كثر

والعالم الحسى عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العالم العقلى ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لا نسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلن يقرب من الله أحد مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذى نعنيه بعالم القدس واذا اعتبرت جملته بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذى هو مجرى لوائح القدس الوادى المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد امعانا فى معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظنن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر واشتغالى الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدنى عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض فأقول لما كان عالم الشهادة مرقي الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين و بمنازل الهدى فلولم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما الى الاخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء فى هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القدرة البشرية ولم يتسع لفهمه القوة البشرية ولا تفي لشرحه الاعمار القصيرة فغايتى ان أعرفك منها انموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فأقول ان كان فى عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أربابا فيكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحرى ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق يترقي أولا الى مادرجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل بأسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته

ما ينادى فيقول هذا ربى ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الاول في مضرب الهوى أي بالاضافة الى ما فوقه أفولا فقال لا أحب الآفلين فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذى النقص نقص وأقول أيضاً فمنه من يقول (وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين) ومعنى الذى اشارة مبهمة لامناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل فى جوابه (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) معناه التقدس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسي وما رب العالمين كالطالب لماهيته لم يجبه الا بأفعاله اذ كانت الافعال أظهر عند السائل فقال رب السموات والارض فقال فرعون لمن حوله الا تسمعون كالمنكر عليه فى عدوله فى جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) فنسبه فرعون الي الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال بالافعال وقال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ولنرجع الآن الى الانموذج فنقول علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لان الرؤيا جزء من النبوة أما ترى ان الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحانى وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار والانوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى ان فى يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر له أنه يؤذن قبل الصبح فى رمضان ومن رأي انه يصب الزيت فى الزيتون تعبيره ان تحته جارية هي أمه وهو لا يعرفها فاستقصاء أبواب التعبير فى أمثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكننى الاشتغال بعدّها بل أقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب كذلك منها ماله أمثلة أخرى اذا اعتبرت معها أوصاف أخر سوى النورانية فان كان فى تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تتفجر الى أودية القلوب

البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان الموجودات التى تتلقى تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها الوادي وان كانت تلك النفائس بعداتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهـذه القلوب أيضاً أودية ومفتتح الوادى قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية دون الاول ومنها تغترف فبالحرى ان يكون الاول هو الوادى الايمن لكثرة يمنه وعلو درجته وان كان الوادي الا دون يتلقي من آخر درجات الوادي الايمن فهو يغترف من شاطئ الوادي الايمن دون لجته وميدانه وان كان روح النبي سراجاً منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال (أوحينا اليك روحاً من أمرنا) فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم علي محض التقليد لما يسمعه و بعضهم على حظ من البصيرة فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلى بالنار من معه النار لا من سمع خـبرها وان كان أول منزل الانبياء الترقى الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطء ذلك الوادى المقدس الا باطراح الكونين أعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهماعارضان للجوهر النوراني البشرى يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام والتوجـه الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقي الى الحضرة الربوبيـة مرة أخرى فنقول ان كان فى تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة فى الجواهر القابلة فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعـلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان فوق الناقش للعلوم شيء هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجـد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي علي صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن و بين ان يقال على صورة الله اذ الرحمة الالهية هي التى على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فاعطاه صـورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما فى العالم حتى

كانه كل ما في العالم أو هـو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهي الذى ليس برقم حروف اذ يتنزه خطه عن ان يكون رقماً وحروفا كما يتنزه كلامه عن ان يكون صوتاً وحروفاً وقلمه عن ان يكون قصباً وحديداً ويده عن ان تكون لحماً وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا علي صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هـذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولان تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعي شرحاً طويلا فلنتجاوزه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت فى نفسك نفوراً عن هـذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية فانه قد ورد فى التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب

(خاتمة واعتذار) لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني فى رفع الظواهر واعتقاداً فى ابطالها حتي أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان ابطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الي أحد العالمين وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوى والذي يجرد الباطن باطنى والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن على موقوفا عليه بل أقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهراً بخلع نعليه وباطناً بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أى العبور من شىء الى غيره ومن ظاهر الى سر وفرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة فيقتنى الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هي من أنوار الملائكة اذ الغضب غول

العقل و بين من يمتثل الامر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذى هو مقر الشخص والبدن واجباً عليه ان يحفظ عن صورة الكلبية فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية كان أولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعاً فهذا هو الكامل وهو المعني بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكذلك تري الكامل لا يسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة فهذه مغالطة منها ما وقع لبعض السالكين فى اباحة طى بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك أحدهم الصلاة وزعم انه دائما فى الصلاة بسره وهذا أشد مغلطة الحمقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم ان الله غنى عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تزكيته منها ولا مطمع فى استئصال الغضب والشهوة لظنه انه مأمور باستئصالهما فهذه حماقات وأما ما ذكرناه فهو ككبوة جواد وهفوة سالك صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور وارجع الى حديث النعلين فأقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة وأهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتى معنى الزجاجة لان الخيال الذي من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار و يحول بينك و بين الانوار ولكن اذا صفا صار كالزجاج الصافى وصار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤدياً للانوار بل صار مع ذلك حافظاً للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالى السفلي صار فى حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة للاسرار ومراقاة الى العالم الاعلى و بهذا يعرف ان المثال الظاهر حق ووراء هذا سر وقس عليه الضوء والنهار وغيره

(دقيقة) اذا قال عليه الصلاة والسلام رأيت عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه فى يقظته كما يراه النائم فى نومه وان كان عبد الرحمن بن عوف نائما فى البيت بشخصه فان النوم انما أثر فى أمثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن النور الباطن الالهي فان الحواس شاغلة وجاذبة الى

عالم الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية قد تصفى وتستولى بحيث لا تجذ به الحواس الي عالمها ولا تشغله فيشاهد فى اليقظة ما يشاهده غيره فى المنام لكنه اذا كان فى غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب الى العالم الاعلى الذي يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة جاذبة الي الحياة الحاضرة وهى العالم الاسفل فاذا كان الجاذب الى أشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب الآخر صد عن السير في الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورث عسراً أو بطأ فى سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تنجلي الاسرار من وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر فى حكمه على عبد الرحمن وان كان إبصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية إبصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعانى من وراء الصور والاغلب ان يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على الروح الخيالي فينطبع بصورة موازية للمعنى محاكية له وهذا الحظ من الوحي في اليقظة يحتاج الى التأويل كما انه فى النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه فى النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة وأربعين والواقع منه فى اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن ان نسبته نسبة الواحد الى الثلاثة فان الذى انكشف لنا ان الخواص النبوية تنحصر شعبها فى ثلاثة أجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة

ـ (القطب الثانى فى بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن)ـ فالاول منها الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما تورده الحواس اذ كان أصل الروح الحيوان وأوله وبه يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبى الرضيع . الثانى الروح الخيالى وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلى فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبى الرضيع في بداية نشوه ولذلك يولع بالشيء ليأخذه فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا بحيث اذا غيب عنه بكي وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على النار لانه يقصد النار اشتغفه

بضياء النهار فيظن ان السراج كوة مفتوحة الي موضع الضياء فيلقى نفسه عليه فيتأذي به لكنه اذا جاوزه وحصل الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد ذلك هرب. الثالث الروح العقلي الذى يدرك المعانى الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسى الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين. الرابع الروح الفكرى وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا ألف بينهما مرة أخرى واستفاد نتيجة مرة أخرى ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية . الخامس الروح القدسى النبوي الذى به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح العقلى والفكرى واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) ولا يبعد أيها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه مالا يظهر فى العقل كما لا يبعد كون العقل طوراً وراء التميز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتميز فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك وان أردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الي ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع ادراك ويحرم منه بعضهم حتي لا تتميز عندهم الالحان الموزونة من المزحفة وانظر كيف عظمت قوة الذوق فى آخرين حتى استخرجوا منها الموسيقي والاغانى وصنوف الدستانات التى منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المبكي ومنها المجنن ومنها القاتل ومنها الموجب للغشي وانما تقوي هذه الآثار فيمن له أصل الذوق وأما العاطل عن خاصية الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشي ولو اجتمع العقلاء كلهم من أرباب الذوق علي تفهيمه معني

الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس بهالذوق الخاص النبوى واجتهد فى أن تصير من أهل الذوق بشئ من تلك الروح فان للاولياء منـــه حظاً وافراً فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة التي ذكرناها والتشبيهات التى رمزنا اليها من أهــل العلم بها فان لم تقدر فلا أقل من أن تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم والذوق وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن بأهل الوجدان أو بأهل العرفان واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها بجملتها أنوار اذبها تظهر أصناف الموجودات والحسى والخيالى منها وان كان يشارك البهائم فى جنسها لـكن الذى للانسان منها نمط آخر أشرف وأعلى وخلقا فى الانسان لغرض آخر أجلى واسنى وأما الحيوانات فـلم يخلقا لها الا ليكونا آلتها فى طلب غذائها وتسخيرها للآدميين وانما خلقا للآدمى ليكونا شبكة له يقتنص بهما فى جهة العالم الاسفل مبادى المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان اذا أدرك بالحس شخصاً معيناً أقتبس من عقله معنى عاماً مطلقا كما ذكرنا فى مثال عبد الرحمن بن عوف فاذا عرفت هــذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة

(بيان أمثلة هذه الآية) اعلم أن القول فى موازنة هذه الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصــباح والشجرة والزيت يمكن تطويله لـكنى أوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول أما الروح الحاس فاذا نظرت الي خاصيته وجدت أنواره خارجة من ثُقَب عــدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرهما فأوفق مثال له فى عالم الشــهادة المشكاة وأما الروح الخيالى فتجد له خــواص ثلاثة (احداها) انه من طينة العالم السفلي الـكثيف لان الشيء المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب أو من بعد ومن شأن الـكثيف الموصوف بأوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التى تتنزه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) ان هذا الخيال الـكثيف اذا صفي ورقق وهذّب وضبط صارموازياً للمعاني العقلية محاذياً لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة) ان الخيال فى بداية

أمره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهى أولى مثال به . وأما الثالث وهو الروح العقلي الذى فيه ادراك المعانى الشريفة الالهية فلا يخفي عليك وجه تمثيلها وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجاً منيراً . وأما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته انه يبتدي من أصل واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا الى ان تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة الى نتائج تعود فتصير بذوراً لأمثالها اذ يمكن أيضاً تلقيح بعضها بالبعض فيكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف وثباتها وبقائها فبالحرى ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار الا بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت الذى هو مادة المصابيح ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمي مباركة فالتي لا تتناهى ثمرتها الى حد محدود أولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد فبالحري ان لا تكون شرقية ولا غربية . وأما الخامس وهو الروح القدسى النبوى والمنسوب الى الاولياء اذا كان فى غاية الاشراق والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة الي مايحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتي يستمر في أنواع المعارف و بعضها يكون في شدة الصفاء كأنه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج فبالحرى ان يعبر عن الصافى القوى الاستعداد بانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسه نار اذ فى الاولياء من يكاد يشرق نوره حتي يكاد يستغنى عن مدد الانبياء وفى الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحسى هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالى اذ لا يتصور الخيالي الا موضوعا بعده والفكري

والعقلي يكونان بعدهما فبالحرى ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح فى زجاجة والزجاجة في مشكاة واذا كانت هذه كلها أنوار بعضها فوق بعض فبالحرى ان تكون نوراً علي نور فافهم والله الموفق

(خاتمة) هذا مثال انما يصلح لقلوب المؤمنين أو لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدى الى باطل كما لا تهدى الى حق وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم وتعاونت على الضلال فى حقهم فمثالهم كرجل فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض والبحر اللجى هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات المعمية والموج الاول موج الشهوات الباعثة الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى انهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فبالحرى ان يكون هذا الموج مظلما لان حب الشيء يعمى ويصم والموج الثانى موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحرى ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب فى الاكثر مستول على الشهوات حتى اذا ماج اذ هل عن الشهوات وأغفل عن اللذات فان الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلا وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التى صارت حجبا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك يحجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع قرب متناوله وظهوره بأدنى تأمل فبالحري ان يعبر عنه بأنه اذا أخرج يده لم يكد يراها واذا كان منبع الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحرى ان يعتقد كل موحد ان من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ويكفيك هذا القدر من اسرار هذه الآية فاقنع

الفصل الثالث

(في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت)
(سبحات وجهه كل من أدركه بصره في بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفاً)

فأقول ان الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة الى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بالنور المحض ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة وأصناف هذه الاقسام كثيرة تتحقق كثرتها ويمكنني ان اتكلف حصرها لكني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر اذ لا يدرى أهو المراد في الحديث أم لا أما الحصر الي سبعمائة أو سبعين الفاً فذلك لا تستقل به الا القوة النبوية مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني الآن ان أعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل قسم فأقول (القسم الاول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة أصلا وهم أصناف • صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضاً • الصنف الثاني هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس ولذلك قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم الهوى أبغض إله عبد الي الله وهؤلاء ينقسمون فرقاً ففرقة زعمت ان غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم بان يكونوا بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس اليه بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة

ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله ولكن ربما حمله على ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم أو استمداد من مالهم أو لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات فأما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية (القسم الثاني) طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة .. الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن التأله والتشوق الى معرفة ربه وأول درجاتهم عبدة الاوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات .. الطائفة الاولى عبدة الاوثان علموا في الجملة ان لهم ربا يلزمهم ايثاره علي نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من أنفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصاً مصورة بأحسن الصور واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني كما سبق .. الطائفة الثانية جماعة من أقاصي الترك ليس لهم ملة ولا شريعة يعتقدون ان لهم رباً وانه أجمل الاشياء واذا رأوا انساناً في غاية الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا وهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم و بأيديهم .. الطائفة الثالثة قالوا ينبغى ان يكون ربنا نورانياً في ذاته بهياً في صورته ذا سلطان في نفسه مهيباً في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوساً اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا

فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من أنوار الله تعالى .. الطبقة الرابعة زعموا ان النار نستولى نحن عليها بالاشعال والاطفاء فهي تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعنى السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة التأثيرات اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشترى الى غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه فى النجوم من كثرة التأثيرات فهؤلاء محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من أنوار الله تعالى .. الطائفة الخامسة ساعدت هؤلاء فى المأخذ ولكن قالت لا ينبغى ان يكون ربناموسوماً بالصغر والكبر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون أكبرهافعبدوا الشمس اذ قالوا هي أكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقروناً بظلمة الحواس .. الطائفة السادسة ترقوا عن هؤلاء فقالوا النور كله لا تنفرد به الشمس بل لغيرها أيضاً أنوار ولا ينبغى أن يكون للرب شريك فى نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار وزعموا انه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم رأوا فى العالم شروراً فلم يستحسنوا اضافتها الي ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه و بين الظلمة منازعة وأحالوا العالم الى النور والظلمة وربما سموهما (يزدان واهر من) وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيهاً على هذا الصنف فهم أكثر من ذلك (الصنف الثانى) المحجوبون ببعض الانوار مقروناً بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات أمراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدواموجوداً قاعداً على العرش وأخسهم رتبة المجسمة ثم أصناف الكرّامية بأجمعهم ولا يمكننى شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن أرفعهم درجةمن نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً اذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان أول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات والحيز (الصنف الثالث)المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الهاً سميعاً بصيراً عالماً قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات

عل حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث نفسنا ولا حرف ولا صوت وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان أنكروها باللفظ اذ لم يدركوا أصلا معانى هذه الاطلاقات فى حق الله تعالى ولذلك قالوا فى ارادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها وهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية الفاسدة فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثانى الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة (القسم الثالث) هم المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم.. الصنف الاول عرفوا معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا ان اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى في جواب قول فرعون وما رب العالمين فقالوا ان الرب المقدس عن معانى هذه الصفات محرك السموات ومدبرها .. الصنف الثانى ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب في الانوار المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصى المحتوي على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه .. الصنف الثالث ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى وجد محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم فى تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر ليس يحتمل هذا

الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع الي الوجود الحق نسبة الشمس الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار الصرف فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذى أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين و بصيرتهم اذ وجدوه منزهاً ومقدساً عن جميع ما وصفناه من قبل ..ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظا ذاته فى جماله الذى ناله بالوصول الي الحضرة الالهية فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه الاعلى وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا في ذاتهـم ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لفنائهم عن أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله(كل شيء هالك الا وجهه)لهم ذوقا وحالا وقد أشرنا الى ذلك فى الفصل الاول وذ كرنا انهم كيف أطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج فى الترقى والعروج عن التفصيل الذى ذ كرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنـه فغلب عليهم أولا ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليهم التجلي دفعـة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسى أو بصيرة عقلية و يشبه ان يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم باسرار أقدامهما وأنوار مقامهما .. فهذه اشارة الى أصناف المحجوبين ولا يبعد ان يبلغ عـددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفاً ولكن اذا فتشت لا تجـد واحداً منهم خارجا عن الاقسام التى ذ كرناها فانهم اما يحتجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال و بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرنى فى جواب هذه الاسئلة مع ان السؤال صادفنى والفكر منقسم والخاطر متشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحي عليه أن تسأل لى العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير واستكشاف الانوار العلوية من وراء الحجب عسير غير يسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله علي سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

تمت رسالة مشكاة الانوار و يليها رسالة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله على انعامه وافضاله * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله * قال الشيخ الامام العالم العلامة زين الدين حجة الاسلام شرف الأئمة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه يخاطب السلطان محمد بن ملك شاه رحمة الله تعالى عليه ﴿ اعلم ﴾ ياسلطان العالم وملك الشرق والغرب ان لله تعالى عليك نعما ظاهرةً وآلاءً متكاثرة يجب عليك شكرها ويتعين اذاعتها ونشرها ومن لم يشكر نعمة الله تعالى فقد عرض تلك النعم للزوال وخجل من تقصيره يوم القيامة وكل نعمة تفنى بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب خطر لان العمر وان تطاولت مدته لا ينفع طوله اذا انقضى عدده فان نوحاً عليه السلام عاش ألف سنة وكانه لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى عليك على الدوام مدي الليالي والايام وهي نعمة الايمان الذي هو بذر السعادة المؤبدة والنعمة المخلدة والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة وزرع بذر الايمان في صفاء صدرك وأودعه في قلبك وسرك ومكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن تسقيه من ماء الطاعة حتى تصير شجرة أصلها في قعر الارض السفلى وفرعها في السموات العلى واعلم أن لهذه الشجرة عشرة أصول وعشرة فروع فأصلها الاعتقاد بالجنان وفرعها العمل بالاركان

﴿ قاعدة الاعتقاد الذي هو أصل الايمان ﴾

اعلم أيها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع مافي العالم وأنه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان في الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الأبد وليس لبقائه فناء وجوده في الأزل واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج وليس له الى أحدٍ احتياج وجوده به ووجود كل شيء به .. الأصل

الثاني في تنزيه الخالق تعالى اعلم أن الباري تعالى ذكره ليس له صورة ولا قالب فانه لا ينزل ولا يحل في قالب وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم وعن لماذا ولم وأنه لا يشبهه شيء من الاشياء ولا يشبه شيئاً وكل مايخطر في الوهم والخيال من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها وأنه تعالى ليس في مكان ولا على مكان لان المكان لا يحصره وكل ما في العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره وأنه قبل العرش وكان منزهاً عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته وأنه مقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش و بعد خلقه وأنه متصف بالصفة التي كان عليها في الأزل ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه مقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو في الدنيا معلوم وفي الآخرة مرئي كما نعلمه في الدنيا بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤيا لا تشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شيء ٠٠ الأصل الثالث في القدرة وأنه تعالى على كل شيء قدير وأن قدرته وملكه في نهاية الكمال فلا سبيل اليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل وأن السموات السبع والأرضين السبع والكرسي والعرش في قبضة قدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته وهو مالك الملك لا ملك الا ملكه ٠٠ الأصل الرابع في العلم وأنه تعالى عالم بكل معلوم وأنه محيط بكل شيء وليس شيء من العلى الى الثرى الا وقد أحاط به علمه لان الاشياء جميعها بعلمه ظهرت و بقدرته انتشرت وأنه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الامطار وورق الأشجار وغوامض الأفكار وان دارت الرياح في الهوى ظاهرة مثل نجوم السماء ٠٠ الأصل الخامس في الارادة وان جميع ما في العالم بارادته ومشيئته وليس من قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر زيادة أو نقصان راحة أو نصب صحة أو وصب الا بحكمه وتدبيره ومشيئته وتقديره ولو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها شيئاً أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يرد مشيئته شيء مهما كان ومهما يكون وهو كائن فانه بتدبيره وأمره وتسخيره ٠٠ الأصل السادس في أنه سميع لكل مسموع بصير بكل مرئي وان القريب والبعيد في سمعه متماثل

والضياء والظلام في بصره شيء واحد وأنه يري دبيب النملة في الليلة المظلمة وماهو أخفى لا يعزب عن سمعه صوت الدودة تحت أطباق الأرض وأن سمعه ليس بأذن و بصره ليس بعين وكما أن علمه لا يصدر عن فكرة ففعله بغير آلة يقول للشيء كن فيكون .. الأصل السابع في الكلام وأن أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب ومهما أخبر به من وعد أو وعيد فانه حق وأمره كلامه وكما أنه عالم مريد قدير سميع بصير فهو متكلم بغير حلق ولا لسان ولا فم ولا اسنان والقرآن والانجيل والتوراة والزبور والكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفة وكل صفاته قديمة لم تزل وكما أن الكلام عند الآدمي حرف وصوت فكلام الله تعالى منزه عن الحرف والصوت .. الأصل الثامن في أفعاله تعالى وجميع مافي العالم مخلوق له تعالى وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد ومهما خلقه من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتمكن الظلم من أفعاله لان الظالم الذى يتصرف في أفعال غيره والخالق تعالي لا يتصرف الا في ملكه وليس معه مالك سواه وكلما كان ويكون وهو كائن فهو ملك له وهو المالك بلاشبيه ولاشريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف لكن له الحكم والامر في كل أفعاله وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضا بقضائه .. الاصل التاسع في ذكر الآخرة وأنه تعالى خلق العالم من نوعين من شخص وروح وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زاداً لآخرتها من هذا العالم وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد وآخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد واذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان و يسألانه من ربك ومن نبيك فان استعجم عذباه وملئ قبره حيات وعقارب ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الى الجسد وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على الخلائق فينظر كل في كتابه فيرى أعماله ويشاهد أفعاله و يعلم مقدار طاعته ومعصيته وتوزن أعماله في ميزان الأعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أرق من الشعرة وأحد من الشفرة فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة

وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط وجازه فى راحة واستراحة وان لم يكن على السيرة المحمودة والأعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق على الصراط ولا يهتدي الى الجواز ويقع في جهنم والكل يقفون علي الصراط ويسألون عن أفعالهم فيسأل الصادقون عن صدقهم ويمتحن المنافقون والمراؤن ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون على الرفق والمسامحة وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمحاقة ثم يسحب الكفار الى نار جهنم بحيث لا يجدون خلاصاً ويدخل أهل الاسلام المطيعون الجنة ويؤمر بالعصاة الى النار فكل من نالته شفاعة الأنبياء والعلماء والاكابر والصالحين والأولياء عفي عنه وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار اثمه وعذب بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ان كان قد سلم معه ايمانه ..

الأصل العاشر فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل أفعال الانسان وأحواله واكتسابه وأعماله منها ما هو سبب لسعادته والانسان لا يقدر أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكم فضله وقدرته ورحمته وحوله ومنته ملائكة وبعثهم الى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة فى الأزل وهم الأنبياء عليهم السلام وأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم أخيراً وجعله بشيراً ونذيراً وأوصل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم .. عن حذيفة بن اليمان أنه قال أنا لا أثنى على أحدٍ من الولاة سواء كان صالحاً أو غير صالح لانى سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولاة والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله تعالي الى الصراط أن ينفضهم الى النار مثل من جار فى الحكم وأخذ رشوة علي القضاء وأعار سمعه لأحد الخصمين دون الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون سبعين خريفاً فى النار يصلون الى قرارها فقد جاء فى الخبر أن داود عليه السلام كان يخرج فى الليل متنكراً بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل من كل أحد يلقاه عن داود سراً فجاءه جبريل عليه السلام يوماً فى صورة رجل فقال له ما تقول فى داود فقال نعم الرجل الا أنه يأكل من بيت المال ولا يأكل

من كده وتعب يديه فعاد داود الى محرابه باكياً حزيناً وقال إلهي علمني صنعة آكل منها فعلمه الله تعالى عمل الزرد . . وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى ذللا يتداركه فكان يقول لو تركت عنزاً جرباء على جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسأل عنها . . حكاية أرسل قيصر ملك الروم رسولا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم فقالوا مالنا ملك بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر البلد فخرج الرسول في طلبه فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه والعرق يسقط من جبينه الى ان بل الأرض فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل تكون جميع الملوك لا يقر لها قرار من هيبته وتكون هذه الحالة حالته ولكنك يا عمر قد عدلت فامنت فنمت وملكنا يجور فلاجرم أنه لايزال ساهراً خائفاً وأشهد أن دينكم لدين الحق ولولا أنني أتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا وأسلم . . ولايحصل مثل هذا المقام للوالي الا بمقاربة علماء الدين ليعلموه طرق العـدل وليسهلوا عليه خطرها ويحذر العلماء السوء الذين يحضونه على الدنيا فانهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعاً بما في يديك من خبيث الحطام ونيل الحرام ليحملوا منه شيئاً بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذى لا يطمع فيما عندك من المال وينفعك في الوعظ والمقال كما يقال ان شقيقا دخل يوما على هارون الرشيد فقال له أنت شقيق الزاهد فقال أنا شقيق ولست بزاهد فقال له أوصني فقال إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله وأقعدك موضع ذو النورين وإنه يطلب منك مثل حيائه وكرمه وأجلسك موضع علي بن أبي طالب وإنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه فقال له زدني فقال له نعم اعلم ان لله تعالى داراً تعرف بجهنم وانه قد جعلك بواباً لتلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء بيت المال والسوط والسيف وأمرك أن تمنع الخلائق من دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجاً فلا تمنعه من بيت المال ومن خالف أمر ربه تعالى فأدبه بالسوط ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف باذن ولى المقتول فان لم

تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار والمقدم الي دار البوار فقال زدني فقال انما مثلك كمثل معين الماء وسائر العلماء في العالم كمثل السواقي فاذا كان المعين صافياً لا يضر كدر السواقي واذا كان المعين كدراً لا ينفع صفاء السواقي ٠٠ خرج هارون الرشيد والعباس ليلا الى زيارة الفضيل بن عياض فلما وصلا الى بابه وجداه يتلو هذه الآية ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية فقال هارون انا كنا قد جئنا لنطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس أن يطرق الباب فطرق الباب وقال افتح لأمير المؤمنين فقال الفضيل مايصنع عندي أمير المؤمنين فطفأ المصباح وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال له استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة و يطلب منك انصافك اياه فبكي هارون حتى أغمى عليه فقال له العباس مهلا يافضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل ياهامان أنت وقومك أهلكتموه وتقول لى مهلا وقد قتلته فقال الرشيد ما جعلك هامان الا وقد جعلني فرعون ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال هذه من وجه حلال من صداق أمي وميراثها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يدك عن مافيها وتعود الي خالقك وأنت تلقيها الى ولم يقبلها وخرج من عنده ٠٠ سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي فقال صف لى العدل فقال كل مسلم أصغر منك سناً فكن له أبا ومن كان أكبر منك سناً فكن له ولداً ومن كان مثلك فكن له أخاً وعاقب كل مسلم مجرم على قدر جرمه وإياك أن تضرب مسلماً سوطاً واحداً على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار ٠٠ أحضر بعض الزهاد خليفة الوقت بين يديه فقال له عظني فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت الي الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصم وذهب سمعه فرأيته يوماً يبكي ويقول ما أبكي لزوال سمعي وانما أبكي لأجل مظلوم يقف ببابي يستغيث ولا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصرى سالم وأمر منادياً ينادي الا من كانت له ظلامة فليلبس ثوباً أحمر وكان يركب الفيل كل يوم فكل من مر ورأي عليه ثوباً أحمر دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصمائه فانظر يا أمير المؤمنين الى شفقة ذلك الملك

الكافر علي عباد الله فانظر كيف تكون شفقتك ٠٠ كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتفكر يوماً وقال قد تنعمت في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الآخرة وأنفذ الي أبي حازم وكان عالم زمانه وأزهد أهل زمانه وقال ابعث لي شيئاً من قوتك الذي تفطر عليه فأنفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطوري فلما رأي سليمان ذلك بكي وأثر الخشوع في قلبه تأثيراً كثيراً فصام ثلاثة أيام طوي لياليها وأفطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه في تلك الليلة تغشى أهله فكان منها عبد العزيز وكان منه عمر بن عبد العزيز وكان أوحد زمانه في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ٠٠ حضر أبوقلابة مجلس عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر عظني فقال له من عهد آدم الى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدني فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجئ فقال حسبي بما قلت ٠٠ سئل عمر ابن عبد العزيز ما كان سبب توبتك فقال كنت أضرب غلاماً لي فقال أذكر الليلة التي يكون صبحها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي ٠٠ رأى بعض الأكابر هارون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول أنت أنت وأنا أنا دأبي كل يوم أن أعود الى عصيانك ودأبك أن تعود على برحمتك ومغفرتك فقال انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدى جبار السماء ٠٠ سأل عمر بن عبد العزيز يوماً أبا حازم الموعظة فقال له أبو حازم ان نمت فضع الموت تحت رأسك وكلما احببت أن يأتيك الموت وأنت مصر عليه فلا زمه وكلما لا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فربما كان منك قريباً فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينه وأن يقبل المواعظ الذى وعظ بها غيره وكلما رأى عالماً سأله أن يعظه وينبغي أن يعظ الملوك بهذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم ٠٠ كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الي عامله أبي موسى الاشعرى أما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان أشقي الولاة من شقيت به رعيته وإياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعي مخضراً فأكلت كثيراً حتي سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل

.. وفى التوراة كل ظلم علمه السلطان من عماله وسكت عنه كان ذلك الظلم منسوباً اليه وأخذ به وعوقب عليه وينبغى للوالي أن يعلم أنه ليس أحد أشدغبنا ممن باع دنيــاه وآخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالي ويحببون الظلم اليه فيلقونه فى النار ليصلوا الى اغراضهم وأي عدو أشد عداوة ممن يسعى فى هلاكك لاجل درهم يكسبه ويحصله

وفى الجملة ينبغي لمن أراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال العمال وينظر فيها كما ينظر فى أحوال أهله وأولاده ومنزله ولا يتم ذلك الا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه فيصير أسير شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه أسيري عقله ودينــه وأكثر الخلق فى خدمة شهواتهم فانهم يستنبطون الحيل ليصلوا الي مرادهم من الشهوات ولا يعلمون أن العقل من جواهر الملائكة وهو من جند الله تعالى وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله تعالى وملائــكته أسير جند الشيطان كيف يعدل في غيرهم وأول ماتظهر شمس العدل فى الصدر ثم ينتشر نورها فى أهل البيت وخواص الملك فيصل شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب المحال وطمع فيما لا ينال

واعلم أيها السلطان أن ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل أن ترى الاشياء كما هي وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فتنظر اي شئ مقصودك منها فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم أن هذه شهوة بهيمية فى صورة آدمي فان الشره الى الأكل من طباع البهائم وان كان مقصودك أن تمضي غضبك على أعدائك فأنت أسد في صورة آدمي لان احضار القلب الغضب من طباع السباع وان كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة فى صورة رجــل لان التزين والرعونة من أعمال النساء وان كان مقصودك أن يخدمك الناس فأنت جاهل في صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت أن الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لأنفسهم لالك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا إرجافاً ان الولاية تؤخذ منك وتعطي لغيرك لأعرضوا بأجمعهم عنك وتقربوا

الى ذلك الشخص وفى أى موضع علموا الدرهم فيه سجدوا وخدموا ذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هي ضحكة والعاقل من نظر أرواح الاشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الأعمال ماذكرناه وأوضحناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومتى لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا كان رأس مال كل السعادات العقل وربما كان الوالى متكبراً ومن الكبر يحصل له السخط الداعى للانتقام والغضب غول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الغضب من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين واذا كان غالياً فينبغي أن يميل فى الامور الى جانب العفو والصفح و يتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة فى سرعة الغضب وشدة الانتقام ماثل الانسان السباع والذئاب .. حكاية يقال إن أبا جعفر المنصور أمر بقتل رجل وكان المبارك بن الفضل حاضراً فقال يا أمير المؤمنين اسمع منى خبراً قبل أن تقتله روى الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد نادى منادمن كان له يد عند الله تعالى فليقم ولا يقوم الا من عفي عن الناس فقال اطلقوه فقد عفوت عنه ..وأكثر ما يكون غضب الولاة علي من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون فى دمه وقال عيسى ليحيي عليهما السلام اذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر الله جل جلاله وان كان كذباً فازدد فى الشكر فانه يزيد فى ديوان أعمالك وأنت مستريح يعنى أن حسناته تكتب لك وفى ثوابك . وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال إن فلاناً رجل قوى شجاع فقال كيف فقال انه يقوى بكل أحد وما صارع أحداً الا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم القوي الشجاع من قهر غضبه لا من صرع غيره وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وأنصف فى حالتي رضاه وغضبه وعفى عند القدرة . . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى يجرب به عند الطمع .. خرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا أيديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا انا أكثر مما تقول مالا تعرفه مني أكثر مما عرفته فان كان لك حاجة أن أذكره ذكرته لك فخجل

ذلك الرجل واستحيا فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أن هذا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ويروى عن زين العابدين رضي الله تعالى عنه أنه استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت ندائي قال بلى قال فلم لا أجبتني قال أمنتك وعرفت طهارة أخلاقك فقال الحمد لله الذى أمن مني عبدى ويروى عنه أيضاً أن غلاماً كان له فعمد الى رجل شاة فكسرها فقال له لم فعلت ذلك قال كسرتها عمداً لاغيظك فقال وأنا أغيظ الذى علمك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى .. ويروى عنه أيضاً أن رجلا سبه فقال له زين العابدين يا هذا بيني وبين جهنم عقبة ان أنا جزتها فما أبالي بما قلت وان أنا لم أجزها فأنا أكثر مما قلت .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب في جريدة الجائرين ولا ولاية له ولا حكم الاعلى أهل منزله وقال عليه الصلاة والسلام لجهنم باب لا يدخله الا من اتبع غضبه بخلاف الشرع .. ويروى أن ابليس تراءى لموسى عليه السلام فقال ياموسى أعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لى من ربي حاجة واحدة فقال موسي عليه السلام وما الثلاثة الاشياء فقال ياموسى احذر من الحدة والحرد فان الحرد يكون صاحبه خفيف الرأس وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالاكرة واحذر من النساء فانى ما نصبت للخلق شركا اعتمدت عليه مثل النساء واحذر من البخل فانى أفسد على البخيل دينه ودنياه .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر ملأ الله تعالى قلبه بالأمن والايمان وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى.. وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا أدخل به الجنة فقال لا تغضب قال وماذا قال استغفر قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة .. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم يوماً مالا فقال رجل ما هذه القسمة لله تعالى فحكي ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيئاً سوى أن قال رحم الله أخي موسى فانه أوذي وصبر على الأذى وهذا القدر كاف من النصيحة

وفي هذا الزمان عامل يتناول من أموال الناس كذا وكذا ألف دينار في كل سنة

لاجل غيره وتبقى في ذمته ويطالب بها في يوم القيامة ويحصل بعنفوعها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والحساب وهذه نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف العقل .. وينبغي للوالي على أمور المسلمين أن يرضى لهم ما يرضاه لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لنفسه .. يروي أن رسول الله صل الله عليه وسلم كان قاعداً يوم بدر في ظل فهبط عليه جبريل عليه السلام وقال يا محمد أتقعد في الظل وأصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر .. ويروى أن عمر بن عبد العزيز قضى حوائج الناس ثم دخل ليستريح فقال له ولده ما الذي يؤمنك أن يأتيك ملك الموت وعلي الباب من له عندك حاجة وهو ينتظرها وأنت مقصر عن حقه فقال صدقت ونهض الى مجلسه .. وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض الصالحين عن نفسه فقال له هل رأيت فيَّ شيئاً تكرهه فقال ياعمر سمعت أنك وضعت على مائدتك رغيفين وان لك قميصين أحدهما لليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين الاثنين شيء قال لا قال والله لا يكون هذا أبداً .. وقال صلي الله عليه وسلم اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعنف على كل وال يعنف على رعيته .. وسأل هشام بن عبد الملك أباحازم وكان من العلماء ما التدبير في النجاة من أمور الخلافة فقال أن تأخذ الدرهم من وجه حلال وتضعه في موضع حلال فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب في نعيم الجنان ويرهب من عذاب النيران .. وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه خير أمتي الذين يحبونكم وتحبونهم وشر أمتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم

ولا ينبغي للوالي أن يغتر بكل من وصل اليه وأثنى عليه وأن لا يعتقد أن جميع الرعية مثله راضون وان الذي يثني عليه من خوفه منه بل ينبغي أن يرتب معتمدين يسألون عن أحواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من ألسنة الناس وينبغي للوالي أن لا يطلب رضاء أحد من الناس بمخالفة الشرع بسخط الله تعالى فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه . وكان عمر رضى الله عنه يقول انى أصبح كل يوم ونصف الخلق علي ساخطون ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق ان يسخط ولا يمكن أن يرضى الخصمين وأكثر الناس جهال

﴿ نكتة كتب معاوية الي عائشة رضى الله عنها ﴾ أن عظيني عظة مختصرة فكتبت اليه

تقول من طلب رضا الله تعالى بسخط الخلق رضى الله عنه وأرضا عنه الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله تعالى سخط الله عليه وأسخط عليه الناس .. واعلم أيها السلطان ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فأول منازله بطن أمه وآخرها اللحد قبره وانما وطنه وقراره ومسكنه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضى من عمر الانسان فكالمرحلة وكل شهر ينقضى عنه كاستراحة المسافر فى سفره وكل أسبوع كقرية يلقاها فى طريقه وكل يوم كفرسخ يقطعه وكل نفس كخطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن لم يعبر القنطرة واشتغل بعمارتها فنى فيها زمانه ونسى المنزلة التى اليها مصيره وهى مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذى لا يشتغل فى دنياه الا بالاستعداد وجمع الزاد ليوم المعاد ويرتفق منها بقدر حاجته ومهما جمعه فيها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمني أن تكون خزائنه وسائر ذخائره رماداً وترابا لا فضة ولاذهباً وأعلم أيها السلطان ان راحة الدنيا أياماً قلائل وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذى لا فناء له ولا نهاية فيسهل على العاقل أن يصبر فى هذه الايام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء

﴿ نكتة ﴾ لو كان للانسان معشوقة وقيل له ان كنت هذه الليلة تزورها فانك لا تعود تراها أبداً وان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك ألف ليلة فانه وان كان حبه لها عظيما وصبره أليماً لكن يهون عليه صبره عنها على البعد ليلة لينال قربها ألف ليلة ومدة الدنيا ليست واحداً من ألف من مدة الآخرة بل ليست شيئا في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لان الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك بالوهم طولها وقد أوضحنا حالها فى عشرة أمثلة.. المثل الأول في بيان سحرها قال صلي الله عليه وسلم احذروا من سحر الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وأول سحرها أنها تريك أنها ساكنة عنك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها ساكنة وهي نافرة عنك على الدوام وانما تنسلل على التدريج ذرة ذرة ونفساً نفساً ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رأيته حسبته ساكناً وهو يمر دائماً فكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تودعك

وتهرب منك وأنت غافل وذاهل .. المثال الثاني ومن سحرها أنها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك أنها لك مساعدة وأنها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال حتى اذا عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم .. رأي عيسى عليه السلام الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة امرأة عجوز هرمة فقال كم تزوجت بعلا فقالت لا يحصون كثرة فقال ماتوا أو طلقوك قالت بل أنا قتلتهم وأفنيتهم فقال يا عجباً لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون .. المثال الثالث ومن سحرها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محنها ومقاتلها في باطنها وتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل لتغش الخلق من بعيد فاذا كشفوا غطاءها وخمارها وألقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من فضائحها وعاينوه من قبائحها . وقد جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحةٍ مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد قمرت عن أنيابها وكشرت عن أسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ماهذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تتحاسدون ولأجلها كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول إلهي أين أحبائي فيؤمر بهم فيلقون معها في النار .. المثال الرابع أن يحسب الانسان كم كان من الأزل قبل أن يوجد في الدنيا وكم يكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين الأزل والأبد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم أن مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزل وكل شهر كفرسخ وكل يوم ميل وكل نفس خطوة وهو يسير دائباً فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولآخر أقل ولآخر أكثر وهو قاعد ذاهل وساكن غافل كأنه مقيم لا ينزح وقاطن لا يبرح قد اشتغل بتدبير اعمال لا يحتاج اليها بعد عشر سنين وربما حصل بعد عشرة أيام في التراب .. المثال الخامس اعلم أن مثل الدنيا وما يحتقب وأهلها فيها شهواتهم ولذاتهم من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين الى أن شاء هضمه وهاضت معدته فرأى

فضيحته من هلاك معدته وتتونة نفسه وكثرة برازه وحاجته فندم بعدذهاب لذته وبقاء فضيحته وكذلك كلما ألف الانسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب ويتبين له ذلك عند نزعه وخروج روحه لأن كل من كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار وغلمان كان ألم روحه عليه أصعب من ألم من ليس له الا القليل فان ذلك الألم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت . . المثال السادس اعلم أيها السلطان أن أمور الدنيا أول ما تبدو يظنها الانسان قريبة مختصرة ويخال أن شغلها لا يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه مائة أمر وينفق فيه بضاعة العمر . قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً زاد عطشاً فلا يزال يشرب الى أن يهلك ولا يروى . قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن من خاض البحر أن لا يناله البلل كذلك لا يمكن من دخل فى أمور الدنيا أن لا يتدنس .. المثال السابع مثل من حصل فى الدنيا كمثل ضيف دعي الى مائدة وعادة المضيف أن يزين للأضياف داره ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجاً بعد فوج ويضع بين يدى أضيافه طبقا من ذهب مملوءً بالجواهر ومجمرة من فضة فيها من عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحتها ثم يغادرون الطبق والمجمرة بحالها للمالكها ليدعو غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور على النار وتطيب وانطلق ولم يطمع فى أن يتناول المجمرة والطبق وتركهما بطيبة من نفسه وشكر لصاحب البيت وربه وانصرف راشداً ومن كان أحمق ابلها توهم أن ذلك الطبق والمجمرة قد أعدا له وانهم يريدون أن يهبوهما له فلما هم بالخروج من الدار أخذ الطبق والمجمرة فاستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة من ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة ليتزودوا منها لطريقهم ولا يطمعوا فيما فى الدار . . المثال الثامن ومثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركباً فى البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لا يفوت الوقت فلا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فمضوا وتفرقوا فى الجزيرة وانتشروا فى نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا

وشرعوا فى الطهارة وعادوا الى المركب فأصابوا الاماكن خالية فجلسوا في أطهر الاماكن وأوفقها وأطيب المواضع وأرفقها ومنهم قوم نظروا الى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون فى زهرها وأثمارها وروضاتها وأشجارها و يسمعون طيب ترنم أطيارها و يتعجبون من حصبائها الملوّنة وأحجارها فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعاً ولا رأوا متسعاً فقعدوا فى أضيق المواضع وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصا الملوّنة ثم حملوا معهم الى المركب فلم يجدوا مكاناً وقعدوا في أضيق المواضع وحملوا ما استصحبوه من الاحجار على أعناقهم فلم يمض الا يوم واحد حتى تغيرت ألوان تلك الاحجار واسودت وفاح منها أكره رائحة ولم يجدوا مخلصاً من الزحام ليلقوا ثقلها عن أعناقهم فندموا على ما فعلوا وحصل ثقل الاحجار على أعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتحيروا فى الرجوع ولم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا فى مكانهم وتخلفوا اذ لم يصغوا الى المنادي ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من أكلته السباع وناشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار المشركون الذين نسوا الله تعالى ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال عز من قائل ﴿ الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة واطمأنوا بها ﴾ وروي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة تريد أن أريك الدنيا قلت نعم فأخذ بيدى وانطلق حتى وقف بى على مزبلة فيها رؤس الآدميين ملقاة و بقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات فقال يا أبا هريرة هذه رؤس الناس التى تراها كانت مثل رؤسكم مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من طول الاعمار ما ترجون وكانوا يجدّون في عمارة الدنيا وجمع المال كما تجدّون فاليوم قد نخرت عظامهم وتلاشت أجسامهم كما تري وهذه الخرق كانت أثوابهم التى كانوا يتزينون بها عند التجمل ووقت الرعونة فاليوم قد ألقتها الرياح فى النجاسات وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها أقطار الارض وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون في تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها

عنهم بهذه الفضيحة التى لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة أحوال الدنيا كما نشاهدو ترى فمن أراد أن يبك على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء ورى انه كان فى زمن عيسى عليه السلام ثلاثة سائرين فى طريق فوجدوا كنزاً فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا و يبتاع لنا طعاماً فمضي أحدهم ليأتيهم بطعام فقال الصواب أن أجعل لهما فى الطعام سما قاتلا ليأ كلامنه فيموتا وأنفرد بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام فاتفق الرجلان الآخران انهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما قتلاه وأ كلا من الطعام فماتا فاجتاز عيسي عليه السلام بذلك الموضع ومعه الحواريون فقال لهم هذه الدنيا فانظروا كيف صنعت بهؤلاء الثلاثة و بقيت بعدهم فويل لطلاب الدنيا من الدنيا

﴿ حكاية ﴾ روي وهب بن منبه ان ملكا عظيما أراد أن يركب يوماً فى جماعته وأهل مملكته و يري الخلق عجائب زينته فأمر أمراءه وأسفهلاريته بالركوب ليظهر للناس سلطنته فلبس فاخر الثياب وركب فرساً مشهوراً بالسبق وركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض بالحصان فى عسكره و يفتخر بهيئته وتجبره فجاءه ابليس لعنه الله فنفخ فى أنف أنفته فقال فى نفسه من فى العالم مثلى وجعل يركض بالكبرياء و يزهو بالخيلاء ولا ينظر الى أحد من تيهه وعجبه وكبره وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض علي عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدرى بعنان من قد أمسكت فقال لي اليك حاجة فقال اصبر حتى أنزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك قال اذكر حاجتك فقال انها سر ولا أقولها الا في أذنك فأصغي بسمعه اليه فقال أنا ملك الموت أريد قبض روحك فقال امهلنى ساعة بقدر ما أعود الى بيتي وأولادى وجيرانى وزوجتى فقال كلا لا تعود تراهم فانك قد فنيت مدة عمرك وأخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتاً وعاد ملك الموت من هناك فأتى رجلا صالحاً قد رضى الله عنه فسلم عليه فرد عليه السلام فقال لى اليك حاجة وهي سر فقال الصالح اذكر حاجتك فى أذنى فقال أنا ملك الموت فقال مرحباً بك الحمد لله علي مجيئك فانى كنت كثير الترقب لوصولك ولقد طالت على غيبتك و كنت مشتاقا

الي قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه فقال ليس لي شغل أهم عند من لقاء ربي عز وجل فقال كيف تحب أن أقبض روحك فاني أمرت ان أقبض روحك كيف آثرت واخترت فقال دعني أتوضأ وأصلي ركعتين فاذا أنا سجدت فاقبض روحي وأنا ساجد ففعل ملك الموت ما أمره به ونقله الله تعالى الي رحمته

﴿ حكاية ﴾ يروي أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لا كل ما جمعه فجمع نعما طائلة و بنى قصراً عالياً وركب عليه با بين محكمين وأقام عليه الغلمان والحراس والأجناد وأمر بعض الايام أن يصنع له طعام من أطيب الطعام فجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدامه ليأكلوا عنده و ينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قدجمعت نعم الدنيا بأسرها فالآن فرغي بالك وكلي هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة ومخلاته في عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فطرق حلقة القصر طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا ياضعيف ما هذا الحرص وسوء الأدب أصبر حتي نأكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج الى فلي اليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا تنح أيها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم قولواله ما ذكرت فلما عرفوه قال هلا زجرتموه ونهرتموه ثم طرق الباب أعظم من الطرقة الأولى فنهضوا اليه من أماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم و بطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضاً عني فقال ما آخذ الا أنت ولا أتيت الا لاجلك لا فرق بينك و بين النعم التى جمعتها والأموال التى حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذي غرني وضرني و بلاني وخرجت صفر اليدين منه و بقي لاعدائي فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأي سبب تلعنني فان الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي لآخرتك وتتصدق على الفقراء وتتحنن على الضعفاء ولتعمر

بى الرباط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عوناً لك في اليوم الآخر وأنت جمعتني ومنعتني وفي هواك أنفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وأنت بحسرتك وندامتك فأي ذنب لى حتى تسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فخر عن سريره صريع الحمام ٠٠ يروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئاً من أسباب الدنيا وقدحفروا قبور موتاهم على أبواب دورهم وهم يتعهدونها ويكنسونها وينظفونها ويعبدون الله تعالى بينها ومالهم طعام سوى نبات الأرض فبعث اليهم ذو القرنين رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه وقال مالى اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال كيف حالكم فانى لا أرى لكم شيئاً من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدنيا فقال نعم لان نعم الدنيا لا يشبع منها أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال لأى معني تأكلون الحشيش فقال لانا نكره أن نجعل بطوننا قبوراً للحيوان ولان لذة الطعام والشراب لا تجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فأخرج منها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين تعلم من كان هذا فقال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا فقال لا قال كان هذا ملكا عادلا مشفقاً على رعيته محباً لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ثم انه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً وضمه الى صدره وقال له ان رغبت في صحبتى فانى أسلم اليك وزارتى وأقاسمك مملكتى فقال مالى فى ذلك رغبة فقال لم فقال لان جميع الناس أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميع الناس أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة ٠٠ وقد ورد فى الخبر أن من أكثر من ذكر الموت كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسى الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر النار ٠٠ وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم ٠٠

وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويبرد حب الدنيا فى القلوب .. سئل عليه الصلاة والسلام من أحزم الناس وأعقلهم فقال أعقل الناس من كان أكثرهم للموت ذكراً وأحزمهم أحسنهم للموت استعداداً ..فاشعر قلبك أيها الملك خوف ملك الملوك ومن أنت وكل ملك و مملوك في قبضة يده وتحت تصرفه ولا يخفي عليه خافية من جليل حالك ودقيقه واجعل الموت أبداً منك علي بال فان الاجل وان طال قصير والخطب في العرض والحساب كبير والله خليفتى عليك والسلام

﴿ تمت رسالة الغزالى الى ملكشاه ويليها كتاب التجريد في كلمة التوحيد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأجل جمال الاسلام احمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه في الحديث الصحيح والنقل الوارد الصحيح عن سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذلك خبراً عن الله تعالى لا إله الاالله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى . قال الشيخ الامام رحمة الله عليه كلمة لا إله الاالله هى الحصن الأكبر وهى علم التوحيد من تحصن بحصنها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد ومن تخلف عن التحصن بها فقد حصل شقاوة الأبد وعذاب السرمد ومهما لم تكن هذه الكلمة حصناً دائراً على دائرة قلبك وروحها نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارساً يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول الى تلك النقطة فأنت خارج الحصن ومجرد قولك لايزن مثقال ذرة ولا يعدل جناح بعوضة فانظر ما هو نصيبك من هذه الكلمة فان كان نصيبك روحها ومعناها (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وهو نصيب سيد الخلائق محمد صلى الله عليه وسلم ومائة ألف نبي ونيف وعشرين ألف نبي فقد حزت ذخر الكونين وفزت بسعادة الدارين وكتبت في جريدة الأولياء وزمرة عالم الفضل (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين : ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وان كان نصيبك مجرد لقلقة اللسان (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) فهو نصيب رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن كعب بن سلول ومائة ألف منافق (اذا جاءك المنافقون) الآية فقد صرت شيئاً خسر الدنيا والآخرة وذلك الخسران المبين وكتبت فى جريدة الاعداء فى جملة عالم العدل (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) لا إله الاالله حصن ولكن نصبوا غليه منجنيق التكذيب ورموه بحجارة التخريب وتظاهروا على هدمه بمعاول الشقاء والنفاق فدخل عليهم العدو فطمس معالمه ودرس

مراسمه وشوش مسكن الملك ومحل نظره وسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم سلبوا معنى لااله الاالله فبقي معهم لقلقة اللسان وقعقعة الحروف وهو ذكر الحصن لا معنى الحصن وكما أن ذكر النار لا يحرق وذكر الماء لا يغرق وذكر الخبز لا يشبع وذكر السيف لايقطع فكذلك ذكر الحصن لايمنع

﴿ فصل ﴾ هذا الحديث يجئ بالقيل والقال مااحترق لسان أحد قط بقوله نار ولا استغنى أحد بقوله ألف دينار القول قشر والمعنى لب القول صدف والمعنى در فماذا تصنع بالقشر مع فقدان اللب وماذا تصنع بالصدف مع فقدان الجوهر هذه الكلمة مع معناها بمنزلة الروح مع الجسد وكما لا ينتفع بالجسد دون الروح فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة بدون معناها فعالم الفضل أخذوا هذه الكلمة بصورتها ومعناها فزينوا بصورتها ظواهرهم وزينوا بمعناها بواطنهم فحصل لهم بها خير الدنيا والآخرة وبرزلهم شهادة القدم بالتصديق (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) وعالم العدل أخذوا هذه الكلمة بصورتها دون معناها فزينوا ظواهرهم بالقول وبواطنهم بالكفر وقلوبهم مسودة مظلمة فحصنوا بها اعراضهم وحصلوا بها اغراضهم وغداً تأتيهم ريح من صوب القدرة تطفئ ذلك النور فيبقون فى ظلمة كفرهم (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) وبرز لهم شهادة القدم عليهم بالتكذيب (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)

﴿ فصل ﴾ أترى اذاقلت لااله الاالله وأنت عابد هواك ودرهمك ودينارك ودنياك ماذا يكون جوابك كذبت ياعبدى لم تقول مالم يكن لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله وأنت عابد هواك (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وأنت عابد دينارك ودرهمك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذاشيك فلا انتقش مادمت تقول لااله الا الله وأنت تسكن الى أهل ووطن وتركن الى أهل ومال ومسكن فلست بقائل كل قول كذبه الفعل فهو مردود لسان الحال أفصح من لسان المقال ان كان قولك لا اله الا الله يثمر معنى فى القلب فلم تعوذ بفلان وتلوذ بفلان وترجو فلاناً وتخاف فلاناً مادمت تقول لااله الا الله وتأنس بغيرنا فلسنا لك ولست لنا من كان لله كان الله له وكانوا لنا خاشعين وكنا لهم حافظين كانوا لنا وكنا لهم يا عبدى لم تلوذ بغيرى وأزمة

الأمور كلها بيدى أنامالك الملك أتصرف فى ملكي بحق ملكي لا يكون في هذا العالم الا ما أشاء ولا يقع فى الكون الا ما أريد فلا تلذ بسواى ولا تقنط من رحمتى فانه لا يقنط من رحمتى الا كافر ولا يأمن مكرى الا خاسر (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون : ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون)

﴿ فصل ﴾ اذا قلت لا اله الا الله ان كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها فى القلب فأنت منافق وان كان مسكنها منك القلب فأنت مؤمن وان كان مسكنها منك الروح فأنت عاشق وان كان مسكنها منك السر فأنت مكاشف فالايمان الأول ايمان العوام والثانى ايمان الخواص والثالث ايمان خواص الخواص فالأول ثمرة خبر صدق مجرد والثانى ثمرة بصيرة وانشراح صدر والثالث ثمرة مكاشفة ومشاهدة وإياك أن تكون مؤمناً بلسانك دون قلبك فتنادى عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة إلهى صحبته كذا وكذا سنة فما اعترف بحقي ولا رأى حرمتى فان هذه الكلمة تشهد لك أو عليك فان كنت من عالم الفضل شهدت لك وان كنت من عالم العدل شهدت عليك فعالم الفضل تشهد لهم بالاحترام حتي تدخلهم الجنة وعالم العدل تشهد عليهم بالاجرام حتى تدخلهم النار (فريق فى الجنة وفريق في السعير)

﴿ فصل ﴾ هذه الكلمة أولها كفر وآخرها ايمان فعالم العدل وقفوا مع لا إله فوقعوا فى الكفر فقيل لهم لا تقيموا في هذا المنزل الأول واعبروا الى المنزل الثانى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) وعالم الفضل عبروا فى المنزل الثانى فى منزل الا الله فقيل والمؤمنون (كل آمن بالله) فشتان ما بينهما

﴿ فصل ﴾ أول من وقع من عالم العدل فى كفر لا اله طريد الملائكة المملكة ابليس اللعين وأول من دخل من عالم الفضل فى ايمان الا الله صفوة الحضرة آدم عليه السلام فجعل ابليس اللعين رأس جريدة عالم العدل وجعل آدم عليه السلام راس جريدة عالم الفضل فانظر هل وقفت فى كفر لا إله فالتحقت بابليس أو عبرت الى ايمان الا الله فالتحقت بآدم عليه السلام احذر أن تلتحق بابليس فتلتحق بغير أبيك فتقطع نسبة الآدمية وتصل نسبة الشيطانية وتنادي على نفسك المشاركة فيك (وشاركهم فى الاموال

والأولاد) ان عاملك بعدله ألحقك بابليس رأس جريدة عالم العدل وان عاملك بفضله ألحقك بآدم رأس جريدةعالم الفضل فلاإله مرتبطة بالاالله والكلمةالواحدة لاتنفصل عنها لاإله سم والا الله ترياق فكما أن من شرب السم صرفاً ولم يشرب معه ترياقاً يهلك فكذلك من شرب سم لا اله ولم يشرب معه ترياق الا الله فانه يهلك وأما من شرب الترياق على السم فهو يملك وشتان بين الهالك والمالك

﴿ فصل ﴾ ما لم تتصل حدود لا اله بحدود الا الله فأنت في خرابة من خرابات الحصن لااله بعض الحصن و بعض الحصن لا يكون حصناً قال لا اله الا الله حصني وما قال لااله فحسب فالكلمة بأسرها هي الحصن لاجزء منها فاذا اتصلت حدود لااله بحدود الا الله فقد تم الحصن وكمل بأجزائه وأركانه فان كل حصن فلابد له من أربعة أركان وقولك لااله الاالله أربع كلمات كل كلمة منها ركن فما لم تتصل الحدود فالحصن لم يتم بأركانه وكما أن له أربعة أركان من جهة الصورة فله أربعة أركان من جهة المعني وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة بنى الاسلام على خمس

﴿ فصل ﴾ واعلم أن هذا الحصن متحصن فى مدينة انسانيتك في ولاية القلب وكل من فى هذه المدينة من سمع و بصر و يد ورجل رعايا له وخدم فهم مسخرون له بالقهر والقسر مستخدمون له تحت الامر والنهي خلقوا على موافقته وجبلوا على ترك مخالفته فان أمر العين بالنظر نظرت وان أمر السمع بالاستماع سمعت وان أمر اليد بالبطش بطشت وان أمر الرجل بالمشي مشت وان أمرها بضدذلك فعلت فهم طائعون لأمره متجنبون لمواطن زجره فان كان قاسطاً في ملكه استعمل هذه الجوارح فى العبث والفساد والمخالفة والعناد فيأمر العين فلا تنظر الا المحرمات و يأمر السمع فلا يسمع الا المحرمات و يأمر اليد فلا تبطش ولا تتناول الا المحرمات وكذا الرجل لا تمشى الا الي المحرمات فهم لاينظرون الى الحق ولا يسمعون(صم بكم عمي فهم لا يعقلون • لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل • أولئك هم الغافلون) وان كان مقسطاً فى مملكته استعمل هذه الجوارح فى الطاعة والعبادة فيأمر العين فلا تنظر الا بالأمر و يأمر الأذن فلا تسمع الا بالأمر و يأمر اليدين والرجلين

كذلك سائر الجوارح فتظهر البركة والطهارة واليه الاشارة بقوله ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد الخبر

﴿ فصل ﴾ هذه الكلمة حصن بابه ومجازه وبوابه مالم تقض حق البواب لاتدخل الى داخل الحصن ما لم تخرج من عهدة لا لاتصل الى اثبات الا وفى الحقيقة لست بناف ولا بمثبت اذ المنفى لا ينفى والثابت لا يثبت فان المنفي منفي والثابت ثابت وانما كلمة لا اله الا الله أربع كلمات حاصل كلها كلمة واحدة وهى اثنا عشر حرفاً حاصل كلها أربعة أحرف فالاربعة هي الكلمة والكلمة هي الأربعة وهي تركيب قولك الله اثبات محض وتوحيد صرف من غير نفي ولا جحد ولا اله نفي محض لان الشيء لا ينفي حتى يتصور له ثبوت ووجود وحرف لا اما جاء لنفى شيء حتى يتصور له حقيقة ثبوت ووجود ومن توهم ذلك فهو مشرك فان الحق سبحانه وتعالى منزه فى أزل آزاله وأبد آباده عن الشرك والشبيه والضد والند وانما جاءت كلمة لا اله الا الله مكنسة تكنس غبار الأغيار عن وجوه الاسرار لتصلح أن تكون عرشاً لتجلى الله عليها ومحلا لنظر الحق اليها كماقال الله تعالى لداود عليه السلام (يا داود طهر لى بيتاً أسكنه لم تسعنى أرضى ولا سمائي ووسعنى قلب عبدي المؤمن التقي النقي

﴿ فصل ﴾ مادمت ملوثاً بالنظر الى ماسواه فلا بد لك من نفي لااله مادمت تعتمد على رياسة العلم والجاه فلا بد لك من نفي لا اله وما دمت ترى فى الوجود سواه فلا بد لك من نفي لا اله فاذا غبت عن الكل فى مشاهدة صاحب الكل استرحت من نفى لا ووصلت باثبات الا (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) متى تتخلص من ذكر مالم يكن وتشتغل بذكر من لم يزل تقول الله يا الله فتستريح عما سوى الله

﴿ فصل ﴾ كلمة الله أربعة أحرف حاصلها ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء فالألف اشارة الى قيام الحق بذاته وانفراده عن مصنوعاته فان الألف لا تعلق له بغيره والحق تعالى أيضاً لا تعلق له بغيره واللام اشارة الى أنه مالك جميع المخلوقات والهاء هادى من فى السموات والأرض (الله نور السموات والارض) وان شئت أن تقول قل الالف اشارة الى تألف الحق بالخلق بأسباغ النعم فى الرزق واللام اشارة الى لوم

الخلق بالاعراض عن الحق والهاء اشارة الى هيمان أوليائه فى المحبة والعشق

ألف التآلف للخلائق كلهم * واللام لام اللوم للمطرود
والهاء هاء متيم فى حبه * مستهتر بالواحد المعبود

﴿ فصل ﴾ افتح بصر بصيرتك فانه ليس فى الوجود شئ الا هو يقول لااله الا الله (وان من شئ الا يسبح بحمده) الآية (يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض) يدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه

وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

﴿ فصل ﴾ أتظن أن شمس التوحيد انما طلعت عليك فقط كلا وحاشا (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) ولكن خصصتم بالتكليف تكريماً وتعظيما وتفضيلا لكم على غيركم لا حاجة اليكم فتكريمكم منا وتفضيلكم بنا (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) الآية

﴿ فصل ﴾ أوجدناكم من كتم العدم الى فضاء الوجود وأمرناكم بالعبودية والتوحيد لحاجة اليكم أو نعت الالهية مفتقر الى وجودكم أو صفة الوحدانية متوقفة على شهادتكم كلا وحاشا صفة الالهية والوحدانية لا تتوقف على شهادة شاهد ولا تستتر بمعاندة جاحد ولكن قصرت أبصار الخفافيش عن ادراك الشمس بعد أن علموا بوجود ذاتها فان الخفافيش اذا طلعت عليهم الشمس يقولون ناموا فقد جن الليل علموا بوجودها وعموا عن ادراكها للقصور فى أبصار الخفافيش لا فى أنوار الشمس أنا الواحد الأحد فى الأزل والأبد شهدتم أو جحدتم شئتم أو أبيتم فان شهدتم فذلك نصيبكم من نعت القدم وان جحدتم فوجود القدم لا يتوقف على وجود الحدوث بل وجود الحدوث موقوف على وجود القدم ووجود المحدث يفتقر الى وجود القديم (أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد)

﴿ فصل ﴾ ان كنت فقيراً فلا تأتنا اتيان الأغنياء وان كنت ذليلا فلا تأتنا إتيان الاعزاء وان كنت منكسراً فلا تأتنا إتيان الأقوياء وان جئت فقيراً فالفقراء الصابرون جلساء الله وان جئت ذليلا منكسراً فقد قلت أنا عند المنكسرة قلوبهم وان

جئت ذا كراً فقد قلت انا جليس من ذ كرني (فاذ كروني أذ كركم) وان جئت محباً فقد قلت يحبهم ويحبونه وان جئت متقرباً فقـد قلت من تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة الخبر ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فان أحببته كنت له سمعاً و بصراً ويداً ومؤيداً فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش الخبر وان جعت يوماً أومرضت أعاتب المقصر في حقك فأقول مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني فيقول كيف تجوع وأنت رب العزة فأقول مرض عبدمن عبيدي فوعزتي وجلالي لوعدته لوجدتني عنده أخلع رداء كبريائي وعظمتي وارتد برداء فضلى ورحمتي

﴿ فصل ﴾ اجعل رأس مال بضاعتك التوحيد وملاذ أمرك التجريد واجعل غناك افتقارك وعزك انكسارك وذكرك شعارك ومحبتك دثارك وتقواك ازارك فان كنت مفتقراً الى زاد وراحلة وخفير فاجعل زادك الافتقار ومطيتك الانكسار وخفيرك الاذكار وأنيسك المحبة ومقصد سفرك القربة فان ربحت في هذه البضاعة فقد ربحت كل شيء وان خسرت فيها فقد خسرت كل شيء أترى أنت مشتر أم بائع فان كنت مشترياً (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي) فأنت خاسر وان كنت بائعاً (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية فأنت رابح أولئك كانت معاملتهم مع الخلق وهؤلاء كانت معاملتهم مع الحق فمعامل الخلق خاسر ومعامل الحق رابح أولئك ينادى عليهم (فما ربحت تجارتهم) وهؤلاء يقال لهم (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فشتان ما بينهما أترى من أى الحزبين أنت أمن حزب أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أم من حزب (ان الله اشترى) ان أحببت أن تعلم من أى الحزبين أنت فانظر عند ذكرك فى محل قوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فان وجل له قلبك وخشعت جوارحك (تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) فاعلم أنك من حزب ان الله اشترى وان لم يخشع قلبك ولم تخضع له جوارحك وكان قولك لااله الا الله كقولك الحائط والجدار فاعلم أنك من حزب (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى: فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)

﴿ فصل ﴾ من لم يكن له نصيب من قوله انما المؤمنون أى شئ يكون نصيبه اذا

قلت الله أو قلت لا اله الا الله وأنت غافل القلب هل يكون لك فيه نصيب كلا وكلا فان من خلا قلبه عن نصيب انما المؤمنون فأي فرق بينه و بين عابد الصنم والصليب وأي فرق بينه و بين الصخرة والحجر (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) بالله اذا كان هذا قلب المؤمن فكيف يكون قلب الكافر اذا كان هذا قلب الموحد فكيف يكون قلب الجاحد اذا كان هذا قلب الذاكر فكيف يكون قلب الغافل أولئك هم الغافلون

﴿ فصل ﴾ متى تنتبه من سنة غفلتك وتصحو من خمار سكرتك فتفهم ما تذكر وتعلم ما تقول أمرت بالفهم ثم بالذكر وأمرت بالعلم ثم بالقول فما لم تعلم لا تقل وما لم تفهم لا تذكر اذا قلت لا اله الا الله وأنت غافل القلب غائب الفهم ساهي السر فلست بذاكر (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) اذا ذكرته فلتكن كلك قلباً واذا نطقت به فلتكن كلك لساناً واذا سمعت فلتكن كلك سمعاً والا فأنت تضرب في حديد بارد

اذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني * وغفلتي عنك أحزان وأوجاع
فصار كلي قلوباً فيك واعية * للسقم فيها وللآلام اسراع

﴿ فصل ﴾ ان سلط سلطان لااله الا الله على مدينة انسانيتك لم يبق فى دائرة دارك ديار ولم يسلكها أحد من الاغيار ولم يبق لك معه قرار ولا تبقي ولا تذر (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فيصير عز كبرك مذلة وتواضعاً وعز كثرتك قلة وعز وجودك محواً وعز بقائك فناء وتتبدل كل صفة مذمومة بصفة محمودة وتنقل من عز هو ذل الى ذل هو عز و يقطع منها شجر صفاتك المذمومة و يزول عنها عوسج الكفر والتعطيل و يذهب منها شوك التشبيه والتمثيل و يغرس فيها ريحان الايمان والتوحيد و ينبت فيها تشريف التنزيه والتفريد وتتنوع صفاتك المحمودة (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكداً)

﴿ فصل ﴾ كل سلطان لولايته أمد معدود وحد محدود الا سلطان لااله الا الله فان ولايته ثابتة أبد الأبد باقية مدى السرمد شملت الأولين والآخرين طائعين

وكارهين وعمت أهل السموات والارضين(ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً)ولكن أتي عبد طوعا وشوقاً ومحبة وعبد أتى كرهاً وسوقاً وقهرا وقسراً (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرهاً) واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الى قوله تعالى قالوا بلى فعالم الفضل قالوا بلي طوعا وعالم العدل قالوا بلي كرهاً أخرجهم من ظهر آدم على هيئة الذر ثم فرقهم فرقتين وجعلهم عالمين فعالم الفضل عن يمينه وعالم العدل عن شماله ثم خلق لهم آلة الفهم والسمع والنطق ثم خاطبهم وأشهدهم علي أنفسهم الآية فأقر الكل بالوحدانية وأذعنوا بالفردانية فقالوا بلى فعالم الفضل قالوا بلى طائعين مسارعين وعالم العدل قالوا بلى كارهين متثاقلين ثم أخذت شهادة كل واحد منهم مما شهد على نفسه أن لا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلما خرجوا من عالم القدرة الى عالم الحكمة ظهر من كل واحد منهم ما كان يضمره من توحيد وجحود فعالم الفضل قالوا بلى مع اعتقاد الصدق فوفوا بعهده وحافظوا على ميثاقه وعالم العدل قالوا بلي اعتقاد الجحود فخانوا العهد وضيعوا الميثاق فبرز نعت القدم لعالم الفضل بالمدح لهم والثناء عليهم فقال(الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وبرز لعالم العدل بالقدح فيهم والازراء عليهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) ثم في عرصات القيامة اذا بسط الصعيد يظهر سلطان بلي علي كل العالمين فيشهد لعالم الفضل بالأمانة ويشهد علي عالم العدل بالخيانة ثم يحشر لكل واحد كتاب اقراره وشهادته على نفسه (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)

﴿ فصل ﴾ أشهدك على نفسك لعلمه بنسيانك(أحصاه الله ونسوه) أشهدك على نفسك لعلمه بأنك ظلوم جهول(وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) أشهدك على نفسك حتى لا يقبل انكارك بعد اقرارك ولما أشهدهم علي أنفسهم وأخذ على كل العالمين العهد والميثاق اشترى من عالم الفضل أنفسهم علماً منه بأنهم يضعفون عن مجاهدتها ومكابدتها فقال سبحانه وتعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية

﴿ فصل ﴾ وانما قال اشترى أنفسهم ولم يشتر قلوبهم لان القلب لما كان لا يستعبده شئ من المخلوقات ولا يسترقه شئ من الموجودات لانه لا يأنس الا بالحق ولا يطمئن

الا بذكره خلص عن رق الأغيار فصار بمنزلة الحر والحر لا يباع ولا يشترى والنفس لما كانت تسكن الى الشهوات وتركن الى اللذات وتستعبدها كل شهوة وتسترقها كل لذة صارت بمنزلة العبد والعبد يباع و يشترى ويجوز عليه البيع والشراء هذا رشح من اناء ظاهر الشرع ومزاج من العلم الظاهر لان الكلام يجرى على قدر نقدالوقت ان صفوت صفي لك وان مزجت مزج لك جواب .. جواب آخر انما كان الشرى للنفس دون القلب لان القلب مشتغل بالحق دون الخلق والنفس مشتغلة بالخلق دون الحق فاشتر النفس لشغلها بالخلق عن الحق وان شئت قلت لان النفس جبات على صفات مذمومة وخصال سيئة وهي محل الآفة ومواطن المخالفة والقلب جبل علي صفات محمودة وخصال حسنة وهو موطن الطاعة والعبادة فاشتر النفس دون القلب لتنقلها من الصفات المذمومة الى الصفات المحمودة ومن صفاتها الى صفات القلب

﴿ فصل ﴾ ولما وضعت النفس في كفة البيع والشرى وجري عليها التسلم والتسليم فسلمها الحق سبحانه وتعالي الى الملك وألهمها قبول ما يلقي اليها من الخير فالملك أبدا يدعوها اليه و يرغبها فيه ويحذرها من الشر ويرغبها عنه الى أن تأنس به وتسكن اليه وتنقاد له فاذا سكنت اليه وانقادت له سلب عنها كل صفة مذمومة و يودع فيها كل صفة محمودة فتخرج من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة كل صفة مذمومة الى نور كل صفة محمودة فاذاخرجت عن ظلمة أوصافها ورجعت عن معاندتها وخلافها وانقادت للامر ورضيت به وسكنت له واطمأنت اليه حينئذ يدخلها في زمرة عباده فقال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادى وادخلى جنتي) وأما عالم العدل فنافقوا في عالم القدرة وجحدوا فى عالم الحكمة فلم يصلح أن تكون أنفسهم محلا لشرائه فأبعدها عن حفظه وكلائه فسلمها الى الشيطان وألهمها قبول ما يلقي اليها من الشر فهو أبداً يأمرها بالفواحش ويغريها بالخبائث ويدعوها الى ما عجن فى طينتها وجبل في أصل خلقتها من الانغماس فى الشهوات والتهافت على المعاصى والمخالفات حتى تصير شيطاناً ماردأ لما يأمرها به مساعداً فتصير ناهية عن الخير أمارة بالسوء (ان النفس لا مارة بالسوء) الآية وهي من أقوى أعوانه وأوفى أقرانه (ومن يعش عن ذكر الرحمن

نقيض له شيطاناً فهو قرين)

﴿ فصل ﴾ عالم الفضل أشهدهم على أنفسهم وألهمهم التوحيد والتقوى وعالم العدل أشهدهم على أنفسهم وألهمهم الفجور والمعصية (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) عالم الفضل عاملهم وعالم العدل أهملهم عالم الفضل عاملهم بفضله فهداهم وعالم العدل أهملهم بعدله فأقصاهم

﴿ فصل ﴾ ليس الخوف من سوء العاقبة وانما الخوف من سوء السابقة ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فضلا فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل خلق الخلق عدلا ورش عليهم عن نوره فضلا فمن أصابه من ذلك النور كان من عالم الفضل ومن أخطأه كان من عالم العدل وليس ذلك النور عبارة عن شعاع ينبسط على صورهم وأشباحهم وانما هو عبارة عن نور ينبسط على قلوبهم وأرواحهم وهو عبارة عن نور الهداية (الله نور السموات والأرض مثل نوره : في قلوب المؤمنين : كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجةٍ الزجاجة كأنها كوكب دري) فالمشكاة بمنزلة بشريتك والمصباح بمنزلة نور توحيدك والزجاجة بمنزلة قلبك وتشبيه المشكاة بالبشرية لما فى البشرية من الكثافة فهو محل ظلمة وسواد والمصباح كلما كان في الظلمة والسواد كان أشد فى الاشتعال والايقاد وتشبيه نور التوحيد بنور المصباح ليستضيء به مايجاوره ويحل فيه وتشبيه القلب بالزجاجة لما فيها من اللطافة فان الزجاجة شفافة تطرح أشعة الأنوار على ما يقابلها ويحاذيها من الأجرام والقلب شفاف تعبر منه أشعة أنوار التوحيد الى ماوراءه من الجوارح واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لوخشع قلبه لخشعت جوارحه وتشبيه الزجاجة بالكوكب الدري اشارة الى اشراقها واستنارتها والدري منسوب الى الدر وهو مبالغة فى استنارته وصفاء جوهريته (توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) وذلك أكثر ايقاداً وأصفي لدهنها وكذلك شجرة التوحيد لا شرقية ولا غربية ولا معطلية ولا وثنية ولا دهرية ولا ثنوية ولا يهودية ولا نصرانية ولا مشبهية ولا معتزلية ولا قدرية ولا جبرية بل محمدية علوية وكما أن تلك الشجرة لا شرقية ولا غربية كذلك شجرة التوحيد لا سماوية ولا أرضية ولا عرشية ولا فرشية ولا فوقية ولا

تحتية ولا علوية ولا سفلية انفصلت عن الخلق وطارت فى طلب الحق فهى عن الخلق منفصلة وبالحق متصلة فصارت لا شرقية ولا غربية ولا دنيوية ولا أخروية ولا تريد لذة الدنيا ولا تريد لذة الآخرة يريدون وجهه وان شئت تقول لا شرقية ولا غربية لا ترغب فى الجنةولا تخاف من النار وان شئت تقول لاشرقية ولاغربية لا يغلب عليها الخوف فتيئس من روح الله تعالى ولا يغلب عليها الرجاء فتأمن مكر الله تعـالى فهي واقفة بين الخوف والرجاء لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهى لا شرقيـة ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أي لصفائه واشراقه نورٌ على نورٍ نور الدهن على نور المصباح ونور المصباح على نور الزجاجة (يهدى الله لنوره من يشاء)

﴿ فصل﴾ ان أشرقت شمس التوحيد من فلك التفريد على أرض قلبك اضمحلت رسوم نفسك وانقشعت ظلمات بشريتك (وأشرقت الأرض بنور ربها) ورأيت صفوة الخلائق وسـائر الأنبيـاء يسيرون تحت لواء لا اله الا الله كل نبي زمرته وأتباعه بالله هل لك معهم نفس أو فيما بينهم قدم لا كلا كلا ولا مشيت قدماً فى متابعتك أو راعيت نفساً فى مراقبتك بل عبادتك مشوبة بالحظوظ وخلواتك ممزوجة بالاغراض واذ كارك مخلوطة بالغفلات وحركاتك وسكناتك مشوبة بسوء الأدب أتري اذا صليت وقلت وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض وأنت ملتفت الى غيره هل تكون قد توجهت اليه واذا أمسكت عن طعامك وشرابك عادة لا عبادة هل أمسكت لاجله كلا وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وكم من مصل ليس له من صلاته الا التعب والنصب تالله مجرد الصورة لا يكفي ومجرد القول لا يغنى (اذا جاءك المنافقون قالوا) الآية القول بمنزلة الورق من الشجرة فان كلمة التوحيد بمنزلة الشجرة (كلمة طيبة كشجرة طيبة) فعروق هذه الشجرة التصديق وساقها الاخلاص وأغصانها الأعمال وأوراقها الاقوال فكما أن أدني مافي الشجرة الاوراق فكذلك أدنى مافي الايمان الاقوال

﴿ فصـل ﴾ اعلم ان شجرة لا اله الا الله شجرة السعادة فان غرستها فى منبت التصديق وسقيتها من ماء الاخلاص وراعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها وأينعت ثمارها وتضاعف أكلها (تؤتي أكلها كل حين باذن ربها)

فان قلت ما ثمرة هذه الشجرة قلت اليقظة والتوبة والزهد والورع والتوكل والتسليم والتفويض وكل صفة من الصفات الباطنة الروحانية وكل خصلة من الخصال المحمودة الظاهرة الجسمانية فان تلك الشجرة (تؤتى أكلها كل حين باذن ربها) وهذه الشجرة تؤتى أكلها كل حين ولكن تلك حينها ستة أشهر وهذه حينها كل لحظة ونفس ثمرة هذه الشجرة قوت لعالم الارواح وثمرة تلك الشجرة قوت لعالم الاشباح هذه قوت لعالم المعانى والأسرار وتلك قوت لعالم الصور والآثار وان غرستَ هذه الشجرة فى منبت التكذيب والشقاق وسقيتها من ماء الرياء والنفاق وتعاهدتها بالاعمال السيئة والأفعال القبيحة وراعيتها بنقض العهد وتضييع الامانة طفح عليها غدير الغدر ولفحها هجير الهجر فتناثرت ثمارها وتساقطت أوراقها وانقصف ساقها وتقطعت عروقها وهبت عليها عواصف القدر فمزقتها كل ممزق (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)

﴿ فصل ﴾ من استظل بظل هذه الشجرة فقد ظفر ومن لا فقد خسر من تعلق بهذه فقد سعد سعادة الابد ومن لا فقد شقي شقاوة الابد ومن تعلق بغصن من أغصانها رفعه الى أعلى الدرجات ومن لا وضع في أدنى الدركات

﴿ فصل ﴾ لااله الا الله هي الكلمة العالية الشريفة الغالية من استمسك بها فقد سلم ومن استعصم بعصمتها فقد عصم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا ها فقد عصموا منى دماءهم الخبر هذا توقيع العصمة الدنيوية وأما توقيع العصمة الاخروية لااله الا الله حصنى فمن قال لااله الا الله دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى ومن قال لااله الا الله دخل الجنة

﴿ فصل ﴾ هذه كلمة نتيجتها معرفة الوحدانية وثمرتها الاقرار بالفردانية وذلك هو من وجود الموجودات وكون الكائنات لولا معرفة الوحدانية والاقرار بالفردانية لما سحب ذيل الوجود على موجود ولاخرج من كتم العدم مفقود (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية عبدي خلقتك من أجل التوحيد وخلقت الاشياء كلها من أجلك من العالم العلوي والعالم السفلي ومابينهما من الموجودات من الحيوانات والنباتات والجمادات السماء تظلك والارض تقلك والملائكة تحفظك والنيرات العلوية تنور عليك والموجودات

السفلية محل تصرفك فالكل مخلوق لاجلك وأنت مخلوق من أجل التوحيد فكل الخلق اذاً انما خلق لأجل معرفة الوحدانيـة والاقرار بالفردانية كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق

﴿ فصل ﴾ أعرف عبدى خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فاشتغلت بالنعمة عن المنعم وبالعطاء عن المعطي فما أديت شكر نعمته ولا راعيت حرمـة عطائه كل نعمة شغلتك عنى فهي نقمة وكل عطية الهتك عنى فهي .. بلية سؤال ماشكر النعم الجواب شكر النعمة هو الثناء على المنعم بما أنعم عليك وأسداه اليك وان شئت أن تقول قل الشكر هو أن تستعين بنعمته على طاعته الشكر هو أن لاتشتغل بنعمته عنه الشكر هو رؤية المنعم فيما أنعم به شكر النعمة مظنة النوال وكفرها مظنـة الزوال شكر النعمة مظنة الابصار وكفرها مظنة البوار شكر النعمة مظنة للمزيد وكفرها مظنة العذاب الشديد (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد)

﴿ فصل ﴾ عبدى أنا الذى أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعطي لا لباعث وأمنع لا لحادث وأسعد لا لعلة وأخلق لا لقلة وابتلى بالشكر لا لحاجـة وقد خلت الاحدية وتقدست الصمدية عن البواعث والعلل لو كانت الارادة هى عن باعث لكان محمولا ولو كانت عن حادث لكان معلولا وليس بمحمول ولا معلول بل خالق البواعث والعلل (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

﴿ فصل ﴾ عبدى ليس فى الوجود الا أنا فلا تشتغل الا بى ولا تقبل الا على ان حصلت لك فقد حصل كل شئ وان فتـك فقد فات كل شئ وان رفعت الى ذروة الأكوان وترقيت الى آن الامكان وأعطيت مفاتيح كنوز الكونين وسيقت اليـك ذخائر الدارين واغتررت بشئ منها طرفة عين فأنت مشتغل عنا لا بنا ومقبل على غيرنا لا علينا ان قنعت بنعيم العاجلة فأنت هالك (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) وان قنعت بنعيم الجنة فأنت من البله من اشتغل بالدار عن الجار فهو أبله ومن اشتغل بالرزق عن الرازق فهو أبله وان متعت بنعيم الدنيا فاتك نعيم الآخرة وان متعت بنعيم الآخرة فاتك نعيم الدنيا ، والسعادة ما لم تخسر الدنيا ولا الآخرة (يريدون وجهه) لا تصلح لطلبنا

ولا تدخل فى دائرة ارادتنا ولا تكون بنا ولا لنا وأنشد بلسان حالك

ولما رأيت الحب قد مد جسره * ونودى بالعشاق ويحكم مروا
أتيت مع العشاق كيما أجوزه * فصادفنى الحرمان فانقطع الجسر
أحاطت بى الامواج من كل جانب * ونادى منادى الهجر قدعدم الصبر

هـذا العقدان رضيت به والا فعليك بدين العجائز تعجز بعاجز النسـاء واقعد فى بيت تخلفك واجلس فى زاوية ادبارك انكم رضـيتم بالقعود أول مرة فاقعـدوا مع الخالفين

﴿ فصل ﴾ مريد الدنيا كثير ومريد الآخرة كثير ومريد الحق عزيز خطير خطر المريد على قدر خطر الارادة وخطر الارادة على قدر خطر المراد وخطر الخلق يسير فخطر ارادته يسير فخطر مريده يسير خطر الحق خطير وخطر ارادته خطير فخطر مريده خطير من أراد من الملك الدخول الى عرصة داره والجلوس علي مائدة كرامته لا يكون كمن يريد من الملك جيفة ملقاة فى اصطبل دوابه ومن أراد من الملك الجلوس معه على بساط قربه في حجرة خلوته لا يكون كمن أراد منه الدخول الى دار ضيافته والخلاص من سجن مهانته . للمجاورة أثر فى المجاورة فمجاور تكسب شرفا ومجاورة تكتسب دناءة ومن جاور الملك فى دار كرامته اكتسب شرفاً ومن جالس الملك علي بساط قربه فى حجرة خلوته ازداد شرفاً لـكل درجة ولـكل مقام لهم درجات عند الله وما منا الا له مقام معلوم أقوام قاموا فى عالم الطبيعة واستولت عليهم ظلمات عالم البشرية فعميت عليهم بصائرهم عن ارادة الاعلى فتعلقت ارادتهم بالادنى وتشبثت هممهم بحظوظ الدنيا وهي الجيفة الملقاة فى اصطبل الدواب فحبطت أعمالهم وخابت آمالهم وعذبوا بعذابين عذاب الفرقة فى الحال وغذاب الحرقة في المـآل (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) أقوام اجتهدوا فى مفارقة عالم الطبيعة والخلاص من ظلمة عالم البشرية فاشتغلوا بالرياضة وتزكية النفوس والطهارة فارتفعوا عن تلك الدرجة وعلوا عن تلك الزينة غير أنهم بقيت عليهم بقية من عالم الطبيعة والبشرية فـلم تكمل لهم ارادة الحق فتعلقت ارادتهم بالنجاة

نار وهى سجن المهانة وأقوام غلب عليهم الخوف فتعلقت ارادتهم بالنجاة من النار وهي

سجن المهانة وقوم غلب عليهم حب الرجاء فتعلقت ارادتهم بالجنة وهي دار الكرامة وهؤلاء قوم اشتغلوا بالعالى عن الاعلي وبالكامل عن الا كمل وبالشريف عن الاشرف وهذه الفرقة وان لم يعذبوا فى المآل بنيران الحرقة فقد عذبوا في الحال بنيران الفرقة ونيران الفرقة عند الاحباب أشد من نيران الحرقة شعر

ولو سلطت نار التفرق والهوى * على سقر يوماً لذاب لهيبها
أشد جحيم النار أبرد موقعاً * على كبدي من نار بين أصيبها

أقوام فارقوا عالم الطبيعة وطاروا عن عش عالم البشرية ولم يبق عليهم من رسومهم بقية فجازوا الأكوان وعبروا الموجودات وغابوا عن الخلق فتعلقت ارادتهم بالحق فهو مرادهم ومقصودهم ولسان الحق ينطق عنهم مالنا والاشتغال بالدنيا والعقبى مالنا والاشتغال بالجنة والنار لا نشتغل بدنيا ولا عقبي ولا بجنة ولا نار ان رضى عنا فهو قادر أن ينعمنا في النار وان غضب علينا نعوذ به منه فهو قادر على أن يعذبنا فى الجنة ولو عبدناه رغبة فى جنته أو رهبة من ناره لكنا ممن يعبده على حرف وقد عاب ذلك على أقوام فقال تعالى ﴿ ومن الناس من يعبد الله علي حرف ﴾ الآية فنعبده له لا لسواه يريدون وجهه فحصل لهم الملك ملك الدنيا وملك العقبى فهم الملوك فى زى المساكين من ادعى فى محبته كذب باشتغاله عنه بلذيذ الطعام والشراب ومن اشتغل بنعيم الجنة فهو كذاب ان قاموا فيه وان قعدوا فمعه وان نطقوا ففيه وان أخذوا فمنه وان نظروا فاليه وان غمضوا فعليه به يسمعون و به يبصرون و به ينطقون و به يبطشون واليه الاشارة بقوله كنت له سمعاً و بصراً و يداً ومؤيداً فبي يسمع وبي يبصر وبى يبطش الخبر ما جعل لغيرهم وعداً عجل لهم نقداً وما جعل لغيرهم غيباً شاهدوه عيناً فهم في زواياهم وعلى سجاداتهم وهم فى الشرق وهم فى الغرب وهم في الفرش وهم فى العرش وان لم يعرج بأشباحهم فقد عرجوا بأرواحهم وان لم يشاهدوا الحق بأبصارهم فقد شاهدوهم بأسرارهم فهم صفوة الحق ومقصود الكون من الخلق بهم يرزقون وبهم يخلقون اخلصوا لله فى العبودية والتوحيد وصدقوا فى الارادة والتجريد فطوبى لهم لا بل طوبى لمن آمن بهم ولقد عاتب الحق سبحانه وتعالى نبيه سيد الاحباب فى مثل حالهم بأشد العتاب فقال (ولا تطرد الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ) الآية .. سؤال ما الارادة الجواب الارادة عقد القلب علي طلب الرب الارادة ترك الممالك وركوب المهالك الارادة ترك الراحات والاعراض عن المباحات الارادة الاحتراق بنيران الطلب ألا ترى احتراق الفراش فى نار الشمعة فان الفراش المسكين يتهافت علي الوقوع في النار والاحتراق بالنار كان حياته في احراقه هذا مع صغر شأنه وصغر مطلوبه يتلف نفسه فى محبوبه وأنت مع كمالك وكمالية محبوبك تتوقف فى بذل نفسك ومحو وجودك كأن الأبدية متوقفة على وجودك وذلك المسكين متهافت متهالك على اتلاف نفسه في مطلوبه ومراده فكان حياته فى ابطال حياته وأنت تسمع منادى القدم ينادي فوق سطح قصر دائرة الازل (ولا تحسبن الذى قتلوا فى سبيل الله) الآية وأنت تتوقف من قصر شأن ارادتك عن شأن ارادة فراشة ومن كان هكذا فليس بصادق فى الارادة لا بل ليس له نصيب فى اللذاذة

﴿ فصل ﴾ فلا بد لك من بذل نفسك ومحو وجودك إما نحن وإما أنت نفسك حجابك مالم يرتفع الحجاب فلا نحن ولا أنت ولست لنا ولسنا لك ان زال عنك وجود كان بك أبقيناك بوجود هو بنا من كان فى الله تلفه كان على الله خلفه نفسك أقل من كل شئ ومرادك أجل من كل شئ فما لم تترك أقل من كل شئ لأجل كل شئ فكيف تكون طالباً فكيف تكون مريداً أبذل النفس وقدم المهجة (فقدموا بين يدى نجوا كم صدقة) هذا مهر الوصال والا فدون الوصال حد النصال ان كنت مريداً فأنت مراد وان كنت طالباً فأنت مطلوب وان كنت محباً فأنت محبوب (وما تشاؤون الا أن يشاء الله)

﴿ فصل ﴾ يا هذا ما دمت مقبلا على غيرنا وملتفتاً الى سوانا فواظب علي قول لا اله الا الله فانها تمحو منك المذموم وتزيد فيك المحمود فان فيك وجودين وجود مذموم ووجود محمود ووجود عدلى ووجود فضلي فوجودك المذموم من عالم العدل ووجودك المحمود من عالم الفضل وكل واحد من هذين العالمين يشتمل علي أجزاء متعددة فوجودك العدلي يشتمل على سبعة أجزاء عدلية وهى الحس والشغل والهوى وكدورة

النفس والنفس والبشرية والطبع والشيطان من وراء ذلك والفضلي يشتمل على ثمانية أجزاء فضلية وهي الحس والفهم والعقل والفؤاد والقلب والروح والسر والهمة والملك من وراء ذلك وكل جزء من أجزاء وجودك العدلى مقابل بجزء من أجزاء وجودك الفضلي فالحس يكون مذموماً ويكون محموداً فالحس المحمود فى مقابلة الحس المذموم والشغل فى مقابلة الفهم والهوى فى مقابلة العقل وكدورة النفس فى مقابلة الفؤاد والنفس فى مقابلة القلب والبشرية فى مقابلة الروح والطبع في مقابلة السر والشيطان فى مقابلة الملك وأما الهمة فليس فى مقابلتها جزء من المذموم لأنها جزء ثامن وانما كانت أجزاء الفضل ثمانية وأجزاء العدل سبعة لأن لكل جزء من هذه الأجزاء باب من أبواب وجودك فجعل أبواب وجودك الفضلى ثمانية بعدد أبواب الجنة فانها دار الفضل وجعل أبواب وجودك العدلى سبعة بعدد أبواب النار لأنها دار العدل قال سبحانه وتعالى (لها سبعة أبواب) فوجودك الفضلى هو الجنة المعجلة وهو الجنة الصغرى ووجودك العدلى هو النار المعجلة وهو جهنم الصغرى وكل باب من أبواب الجنة المعجلة ينفذ الى باب من أبواب الجنة المؤجلة وكل باب من أبواب النار المعجلة ينفذ الى باب من أبواب النار المؤجلة (لكل باب منهم جزء مقسوم)

﴿ فصل ﴾ فان أشرق نور هذه الكلمة على جزء من أجزائك الفضلية ذهبت ظلمة ما يقابلها من أجزائك العدلية فان أشرق نور الكلمة مثلا على السر ذهبت ظلمة الطبع وان أشرق على الروح ذهبت ظلمة البشرية وان أشرق على القلب ذهبت ظلمة النفس وكذلك سائرها فان أجزاءك الفضلية في اللطافة بمنزلة الجوهرة الشفافة تطرح شعاعها على مايقابلها ويحاذيها ومثال ذلك مثال مصباح فى قنديل والقنديل فى زاوية أو بيت مظلم فان نور المصباح يشرق على القنديل ونور القنديل يشرق على الزاوية أوالبيت المظلم فقدر كلمة التوحيد بمنزلة المصباح وقدر جزءك الفضلى بمنزلة القنديل وقدر العدلى بمنزلة الزاوية أوالبيت المظلم فكما أن نور المصباح يشرق على القنديل ونور القنديل يشرق علي الزاوية أوالبيت المظلم فكذلك نور كلمة التوحيد يشرق على جزئك الفضلي وجزؤك الفضلى يشرق علي جزئك العدلى وكما أن ظلمة البيت والزاوية تزول بمقابلة

القنديل والمصباح فكذلك ظلمة جزئك العدلى تزول بمقابلة جزئك الفضلى ونور التوحيد واليه الاشارة بقوله (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) الآية ومما يوضح لك أن المقابلة لها أثر فى تعدى النور من محل الى محل نور الشمس فانه ينبسط على جدار مثلا فيستنير بنوره الجدار الذى يقابله ثم يستنير بنور ذلك الجدار جدار آخر يقابله وعلى ذلك لا يزال النور يتعدى من محل الى محل آخر بطريق المقابلة الى أن تقطع بحجاب كثيف فعند ذلك ينقطع التعدي هذا في عالم العينى واذا كان فى عالم العينى كذلك فان عالمك الغيبى على نحو من عالمك العينى يكون فى عالمك الغيبى جزء منه ولهذا يقال لك العالم الاصغر واذا جاز ذلك فى العالم الأكبر جاز فى العالم الأصغر وقد يجوز أن يشرق نور الكلمة مثلا على جزء من أجزائك الفضلية ثم يتعدى من ذلك الجزء الى سائرها مثل أن يشرق على الهمة فيتعدى الى السر ومن السر الى الروح ومن الروح الى القلب الى أن يصل الى سائرها فان كل جزء من هذه الاجزاء مقابل لصاحبه وقد بينا أن المقابلة لها أثر في تعدى الأنوار وانما ينقطع التعدي بحجاب كثيف وهذه لطيفة وليست بكثيفة فينبغي أن يتعدى من الجزء الواحد الى سائرها فاذا كان هناك حجاب كثيف من آثار أجزائك العدلية فانه ربما منع تعدى النور الى ما وراءه وذلك المثال فى ضرب المثال بمنزلة نور الشمس فان الشمس فى العالم العلوى فى السماء الرابعة و يصل شعاعها الى هذا العالم السفلى لأن أجزاء السموات رقيقة لا يحجب وصول النور الى ماوراءه فلوقدر فى مقابلتها جزء من أجزاء العالم السفلى أو حجاب كثيف كالغيم وغيره يحجب شعاعها عن وصول النور اليك فعالم وجودك الفضلي بمنزلة العالم العلوى وعالم وجودك العدلى بمنزلة العالم السفلى فقدر الهمة من العالم الفضلى بمنزلة العرش من العالم العلوي وقدر الصفات السبع بمنزلة السموات السبع وقدر صفات العالم العدلى السبع بمنزلة الأرضين السبع وكما أن العالم العلوي فى غاية اللطافة لا يحجب وصول النور من جزء الى جزء فكذلك العالم الفضلى فى غاية اللطافة لا يحجب من وصول النور من جزء الى جزء وكما أن العالم السفلي في غاية الكثافة يحجب وصول النور من جزء الى جزء فكذلك عالم العدلى فى غاية الكثافة يحجب وصول النور من جزء الى جزء

﴿ فصل ﴾ العالم الفضلى كله نور والعالم العدلى كله ظلمة وهما يتعاقبان كلما ذهب جزء من عالم العدلى أعقبه جزء من عالم الفضلي فهما فى التعاقب بمنزلة الحركة والسكون أو الظل والشمس أو الليل والنهار كلما ذهب جزء من الليل أعقبه جزء من النهار وكلما ذهب جزء من النهار أعقبه جزء من الليل (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) فليلك عالم وجودك العدلِي ونهارك عالم وجودك الفضلى فان تكاثفت ظلمات الشرك من نفي لا إله على نهار وجودك الفضلي ذهب نوره وصار عدلياً وان طلعت شمس الوحدانية من برج الفردانية فى سماء الا الله علي ليل وجودك العدلي أذهب ظلمته وصار فضلياً فسكن لا إله عالم وجودك العــدلي ومسكن الا الله عالم وجودك الفضلى فلا إله ظلمة ومسكنه منك محل الظلمة والا الله نور ومسكنه منك محل النور فاذا اتصلت حدود لا إله باثبات الا الله انعكست أنوار الاثبات على ظلمة النفي فصار الكل نوراً واثباتاً محضاً وذهبت ظلمة النفي بنور الاثبات (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغــه فاذا هو زاهق) فاذا ذهبت ظلمة النــفي بنور الاثبات استنار به عالم وجودك العدلي وانقلبت أجزاؤه العدلية فضلية فصار الحس المذموم حساً محموداً وصار الشغل فهما والهوى عقلا وكدورة النفس فؤاداً والنفس قلباً والبشرية روحاً والطبع سراً والشيطان ملكا واليه الاشارة في قوله أسلم شيطانى

﴿ فصل ﴾ اعلم أن السالك له ثلاثة منازل فالمنزل الأول عالم الفناء والمنزل الثانى عالم الجذبة والمنزل الثالث عالم القبضة فاذا كنت فى عالم الفناء فواظب على قول لا اله الا الله واذا كنت في عالم الجذبة فواظب على قول الله الله واذا كنت فى عالم القبضة فواظب على قول هو هو وانما كان ذكرك في عالم الفناء لا اله الا الله وذكرك فى عالم الجذبة الله الله وذكرك فى عالم القبضة هو هو انك ما دمت سالكا في عالم الفناء فالغالب عليك عالم وجودك العدلي ومادمت سالكا عالم الجذبة فالغالب عليك عالم وجودك الفضلي فاجعل ذكرك فى عالم الفناء لا اله الا الله لان المستولي عليك عالم وجودك العدلي وصفاتك المذمومة واجعل ذكرك فى عالم الجذبة الله الله لأن المستولي عليك عالم وجودك الفضلى وصفاتك المحمودة لأن كلمة لا اله الا الله خاصيتها فى النفي والمحو وكلمة الله خاصيتها في التقوية والتنزيه المحمودة ومادمت فى

عالم الفناء فأنت الي النفي والمحو أحوج لأن الغالب عليك الصفات المذمومة وما دمت فى عالم الجذبة فأنت الى التقوية والتنزيه أحوج لان الغالب عليك الصفات المحمودة أما اختصاص عالم القبضة بقولك هو هو لأنك متى وصلت الى هذا العالم فقد ذهبت عنك كدورات صفاتك العدلية وأشرقت عليك أنوار صفة تلك الفضلية واتصل بك تصرف الحق سبحانه وتعالى من غير واسطة وصرت معدوماً بالاضافة اليك موجوداً بالاضافة اليه فانياً بالاضافة اليك باقياً بالاضافة اليه فجعل ذكرك فى هذا العالم هو هو لأن الموجود هو والباقي هو ومعنى قولنا عالم الفناء أن السالك والمريد يفنى فيه نفسه ويبقى وجوده وتمحو صفاته المذمومة ومعنى قولنا عالم الجذبة أنه قد وقع فى جذبة الملك ومعنى قولنا عالم القبضة أنه وقع في قبضة الحق سبحانه وتعالى فيتصرف فيه من غير واسطة فهذه منازل السالك

﴿ فصل ﴾ اعلم أن الأولياء لهم أربعة مقامات فالأول مقام خلافة النبوة والثاني مقام خلافة الرسالة والثالث مقام خلافة أولي العزم والرابع مقام خلافة أولي الاصطفاء فمقام خلافة النبوة للعلماء ومقام خلافة الرسالة للاولياء ومقام خلافة أولي العزم للاوتاد ومقام خلافة أولى الاصطفاء للاقطاب فمن الأولياء من يقوم فى العالم مقام الأنبياء ومنهم من يقوم فى العالم مقام الرسل ومنهم من يقوم فى العالم مقام أولى العزم ومنهم من يقوم في العالم مقام أولى الاصطفاء ومعنى الولى على وجهين الوجه الأول من ثبت له تصرف وولاية على مصلحة دينية والوجه الثانى ليس له ولاية التصرف بالقوة بل ثبت له تصرف ولاية التصرف فان قيل كيف يكون ولياً وليس له ولاية التصرف .. الجواب يجوز أن يكون ولياً على معنى أن الله قد تولى جميع أموره وهذا الولى ولي بالفعل ان سمع فبالحق يسمع وان أبصر فبالحق يبصر وان نطق فبالحق ينطق فهو فى عالم المحبوبية والى ذلك الاشارة بقوله كنت له سمعاً و بصراً الخبر وهذا الولي لا يصلح أن يكون مربياً للخلق لأنه فى قبضة الحق مسلوب الاختيار واذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربياً لغيره لأن التصرف في غيره يستدعي ولاية التصرف فى نفسه وهذا الولي مجذوب في نفسه فكان مسلوب التصرف فى غيره ألا يرى في عرف

الشرع أن من ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره ومن لا فلا والعاقل البالغ لما ثبت له الولاية علي نفسه ثبت له الولاية علي غيره والطفل والصبي لما لم تثبت له الولاية علي نفسه لم تثبت له الولاية على غيره فالمجذوب فى قبضة الحق بمنزلة الصبى فى ولدنا فهو في حجر تربية المحبوبية يرضع بلبن كرم الربوبية وهم أطفال قهرنا فى حجر تربية ارادتنا يرضعون بلبن كرمنا فأما الولي السالك يصلح أن يكون مربياً للخلق لأنه بمنزلة البالغ الذي يثبت له الولاية علي نفسه ومن له ولاية علي نفسه جاز له الولاية علي غيره فاذا جاز ذلك في عرف الشريعة جاز فى عرف الحقيقة علي وزن الشريعة والتفرقة بين الشريعة والحقيقة كفر وزندقة فمثال المجذوب فى مقام المحبوبية كمثل رجل سلك به في طريق البادية مشدود العين فهو لا يعرف موضع قدمه ولا يدرى أين يذهب وهذا الرجل اذا قطع الطريق ووصل الى مراده لو سئل عن منزل من المنازل لم يكن عنده علم ولا خبر وكما أن هذا الرجل لا يصلح أن يكون دليلا في البادية فكذلك المجذوب لا يصلح أن يكون دليلا فى طريق الآخرة ومثال السالك فى طريق الآخرة كمثل رجل سلك طريق البادية وشاهدها وعرف منازلها ومراحلها وسهلها وجبلها ويعرفها شبراً شبراً ويعلمها ويتقنها علماً وخبراً وكما أن هذا الرجل يصلح أن يكون دليلا علي طريق البادية فكذلك السالك في طريق المعرفة يصلح أن يكون دليلا فى طريق الآخرة

﴿ فصل ﴾ كاشف القلوب يقول لا اله الا الله وكاشف الارواح يقول الله الله وكاشف الاسرار يقول هو هو ولا اله الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الأرواح وهو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة في حقة أو بمنزلة طير فى قفص فى بيت فالحقة والبيت بمنزلة القلب والصدفة والقفص بمنزلة الروح والدرة والطائر بمنزلة السر فهما لا تصل الى البيت لا تصل الى القفص ومهما لا تصل الى القفص لا تصل الى الطائر وكذلك مهما لم تصل الى القلب لا تصل الى الروح ومهما لم تصل الى الروح لا تصل الى السر فاذا وصلت الى البيت فقد وصلت الي عالم القلوب واذا وصلت الى القفص فقد وصلت الى عالم الارواح واذا وصلت الى الطائر فقد وصلت الى عالم الاسرار فافتح باب قلبك بمفتاح قولك لا إله

الا الله وباب روحك بمفتاح قولك الله الله واستنزل طائر سرك بقولك هو هو فان قولك هو قوت لهذا الطائر واليه الاشارة بقوله تعالى ياموسى اجعلنى طعامك وشرابك واعلم أن تشبيه القلب بالبيت والروح بالقفص والسر بالطير تشبيه مجازي من جهة الحس تقريب لفهمك واشارة الى أنه لاوصول الى عالم الارواح الا بعد العبور عن عالم القلوب ولاوصول الى عالم الاسرار الا بعد العبور عن عالم الا رواح والا فالحقيقة بالعكس من ذلك فان عالم الأرواح أكبر من عالم القلوب وعالم الاسرار أكبر من عالم الأرواح وانما مثله الحقيقي ثلاثة دوائر بعضها محيط ببعض فالدائرة الكبرى عالم الاسرار والوسطي عالم الأرواح والصغرى عالم القلوب فعالم القلوب أصغر من عالم الارواح وعالم الارواح أصغر من عالم الأسرار وانما كان عالم القلوب أصغر من عالم الأرواح لان عالم القلب أقرب الى عالم الغيب والشهادة من عالم الارواح وانما كان عالم الارواح أصغر من عالم الاسرار لان عالم الارواح أقرب الى عالم الاشباح من عالم الاسرار فكل ما كان الي عالم الاشباح أقرب كان الي الاصغر أقرب وكل ما كان منه أبعد كان الى الأكبر أقرب ولأن عالم الاشباح عالم الضيق والحرج والزحمة وعالم الارواح والأسرار عالم الفسحة والروح وكل ما كان أصغر مما هو أقرب الي عالم الملك والملكوت والسعادة كان أكبر مما هو أقرب الي عالم الغيب والشهادة وهو عالم الاسرار فافهم أيدك الله بالفهم

﴿ فصل ﴾ بالله يا أخي هل لك فى هذه السماء نجم أو من هذه البحار قطرة كلا وكلا بل نفس مستولية و بشرية غالبة فطبع ظاهرك (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) فاخرج من عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم البشرية الى عالم الروح ومن عالم الطبع الى عالم السر ومن ظلمة وجودك اليه فتشاهد مالاعين رأت ولا أذن سمعت (ولا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون)

﴿ فصل ﴾ عالم النفس وعالم البشرية وعالم الطبع مهاو ودركات لعالم العدل وعالم القلب وعالم الروح وعالم السر معارج ودرجات لعالم الفضل فعالم النفس درك للعاصين وعالم البشرية درك للكافرين وعالم الطبيعة درك للمنافقين (ان المنافقين في الدرك

الأسفل من النار) وأما عالم القلب فمعراج المريدين وعالم الروح معراج الصديقين وعالم السر معراج المريدين وان شئت أن تقول عالم القلب معراج أهل البداية وعالم الروح معراج أهل التوسط والكفاية وعالم السر معراج أهل الوصول والنهاية .. وجه آخر عالم القلب معراج التوابين وعالم الروح معراج المحبين وعالم السر معراج العارفين فمها لم ترق من حضيض طبعك و بشريتك ونفسك لاتصل الى عالمهم فاذا ترقيت من درك طبعك و بشريتك ونفسك فحينئذ يستقبلك تصرف الحق فيك قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فتارة يقلبه من قبض الى بسط ومن خوف الى رجاء ومن بقاء الى فناء ومن صحو الى محو ومن طرب الى حزن وتارة يعكس هذه الاحوال و يغير عليه هذه الأوصاف وهو أبداً بين قبض و بسط وخوف ورجاء وفناء و بقاء ومحو وصحو وطرب وحزن وتارة يجذبه عنه و يوصله الى أعلى مراتب السائرين اليه وتارة يرده عنه فيوقعه فى أدنى منازل المنقطعين عنه جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين

﴿ فصل ﴾ اعلم أن هذا التعدد والتنوع والتغير انما هو بالنسبة الى متعلقات صفاته اذ هو واحد فى ذاته وصفاته علمه واحد وهو محيط بجميع المعلومات وقدرته واحدة وهى محيطة بجميع المقدروات والعلم واحد والمعلومات متعددة والقدرة واحدة والمقدروات متعددة وتصرفه فيك واحد وتصرفاتك متعددة وذكر الاصبعين واليدين وأمثال ذلك على سبيل التشبيه وذكر الاصبع على جهة الاثنينية اشارة الى سرعة التقليب من حال الي حال والا فهو مقدس من أن يكون جسما أو جوهراً أو عرضاً بل هو خالق الموجودات والاجسام والجواهر والاعراض لأنه لو كان جسما لكان مؤلفاً وهو سبحانه مؤلف ليس بمؤلف لو كان جسما لكان مكيفا وهو سبحانه ليس بمكيف لو كان جسما لكان مصوراً وهو سبحانه ليس بمصور لو كان مؤلفاً لافتقر الى مؤلف لو كان مكيفاً لافتقر الى مكيف ولو كان مصورا لافتقر الي مصور وهو سبحانه مبدع التأليف والتكييف والتصوير (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) ولو كان عرضاً لافتقر الى محل يقوم به وهو سبحانه منزه عن أن يحل فى شئ أو يقوم بشئ بل هو قبل كل شئ كان ولا مكان ولا أنس ولا جان ولا سماء ولا أرض ولا عرش ولا فرش ولا ملك ولا فلك ولا شمس ولا قمر

ولا عين ولا أثر ولا حجر ولا مدر ولا ماء ولا شجر ولا فضاء ولا ضياء ولا ظلال ولا وراء ولا أمام ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت ولا نبات ولا جماد كان قبل كل الأكوان وهو الآن كما كان ولا يزال على ممر الدهور والأزمان قربه بغير اتصال و بعده بغير انفصال وفعله بغير الجوارح والاوصال منزه بريء عن الاستقرار والانتقال تعالى عن التحول والزوال وتقدس عن الحلول في المحال لا اله الا الله هو الكبير المتعال عن الوهم والحس والخيال ليس له شكل ولا تصوير ولا مثل ولا نظير ولا معين ولا ظهير ولا وزير ولا مشير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ليس له ند ولا حد ولا تحيط به الجهات ولا تغيره الحالات ولا تشبه ذاته الذوات ولا تشاكل صفاته الصفات تقدست ذاته عن سمات الكائنات وصفاته عن صفات الحادثات تنزه القدم عن الحدوث وتقدس القديم عن المحدَث ان قلت كم فقد كان قبل الاجزاء الابعاض وان قلت كيف فقد كان قبل وجود الأحوال والاعراض وان قلت متى فقد كان قبل وجود الزمان وان قلت أين فقد كان قبل وجود المكان وسبق الاشياء كلها وجودا وأخرجها من كتم العدم فضلا وجودا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) أول ليس قبله شيء وآخر ليس بعده شيء ظاهر أي لا يؤمره شيء باطن أي لا يكيفه شيء واحد أي ليس كمثله شيء

﴿ فصل ﴾ فاذا وصلت الى عالم الفناء اتصل بك تصرف الحق فيك فصار حجرك اكسيرا عزيزا وانقلب نحاسك ذهباً ابريزا وأودع عليك من أنوار التنزيه والتوحيد ما تنفي معه كل شرك وتشبيه وتعطيل وتمويه فتصفو بصفاء التوحيد عن كدورات صفاتك وتقدس به عن دنس مخالفاتك فحينئذ يدخلك في زمرة السالكين و يسيرك في منازل السائرين الى أن يبلغ بك الى أعلى منازل القلب من الرضاء والتسليم والتفويض والطمأنينة والسكينة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

﴿ فصل ﴾ فاذا وصلت الى عالم الروح برز لك نعت القدم بتنصيص التخصيص ومنشور التشريف من ياء اضافة ونفخت فيه من روحي وهذه اضافة تفضيل القدم للحدوث وتسجيل القديم للمحدث فكاد هذا التشريف أن يصل القديم بالمحدث تنزه القدم عن الحدوث وتنزه القديم عن المحدث وجلت الأزلية عن الوصل اضافتك اليه اضافة مزية لا اضافة

جزئية اضافتك اليه اضافة خصوصية لااضافة بعضية اضافة قربة لا اضافة نسبة اضافة كرم لااضافة قدم وهو منزه عن كل اضافة وان قال ونفخت فيه من روحي

﴿ فصل ﴾ ليس له كل فيقال له بعض وليس له جنس فيقال نوع تنزه عن حقيقة من والى وفى وعلى ليس له جنسية ولا بعضية فيقال من ولا محلية فيقال فى وليس له قرار فيقال على فمقدس عن البداية والنهاية والظرفية والمحلية

﴿ فصل ﴾ فاذا وصلت الى عالم السر كوشفت بأسرار الغيب وزفت اليك عرائس أبكار الاسرار فى خلوات أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيري من توسط فأوحي الى عبده ما أوحى في مجلس السر بينى و بين عبدى سر لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ثم تأتيك ألطاف القدرة بتحف الحضرة بما لاعين رأت ولا أذن سمعت (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) تدرى ماقرة عين العاشق قرة عين العاشق زاوية وجه محبو به ومعشوقه والتمتع بالنظر الى جمال يشق لك سمعاً فى قلبك و بصراً فى لبك فتسمع بغير أذن وتبصر بغير عين فلا تسمع الامن الغيب ولاتبصر الا من الغيب فيصير الغيب عندك عيناً والخبر معاينة وهو معنى قوله رأى قلبي ربى ومفهوم اشارة القدم في متن مصحف المجيد (ألم تر الى ربك) فحينئذ يجذبك عنك و يسلبك منك فتقع فى القبضة فيوصلك الى أعلى مراتب التوحيد والمعرفة في أعلى منازل السر والهمة ما تقصر العبارة عن التعبير به وتعجز الاسرار عن الاشارة اليه وهو نهاية الاقدام وليس وراء عبادان قرية لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فحينئذ تقول سبحان من لم يجعل طريقاً الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولما علم الحق سبحانه عجز خلقه عن أداء صفته فى حقيقة الوحدانية والفردانية وشهد لنفسه بالحق للحق شهد الله أنه لا اله الاهو

﴿ فصل ﴾ التوحيد هوالبداية وهو النهاية والنهاية رجوع الى البداية منه بدئ واليه يعود كلة لا اله الا الله هى البداية والنهاية منها بدئ واليها يعود فهي الكلمة الطيبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب وكلة التقوى ودعوة الحق والعمل الصالح والعهدوالحسنة والاحسان أما الكلمة الطيبة قال الله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) وأما الكلم الطيب (اليه يصعد الكلم الطيب) والقول

السديد (يا أيها الذين آمنوا اتقوا وقولوا قولا سديداً) والقول الصواب (الا من أذن له الرحمن وقال صواباً) ودعوة الحق قوله تعالى (له دعوة الحق) وكلمة التقوى قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) والكلمة السواء قوله تعالى (الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألاّ نعبد الا الله) والعمل الصالح قوله تعالى (رب ارجعونى لعلى أعمل صالحاً) والعهد قوله تعالى (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) والحسنة قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) والاحسان قوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وهي الحصن الحصين لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى جعلنا الله وإيا كم ممن دخل حصن الله بمنه وكرمه واحسانه بداية ونهاية ورزقنا معانى أسراره بفضله ورحمته انه كريم جواد آمين تم كتاب التجريد فى كلمة التوحيد

وكان الفراغ من طبع هذا المجموع اللطيف في أواخر شهر شوال من شهور سنة ١٣٢٥ هجريه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



فهرس المجموع

